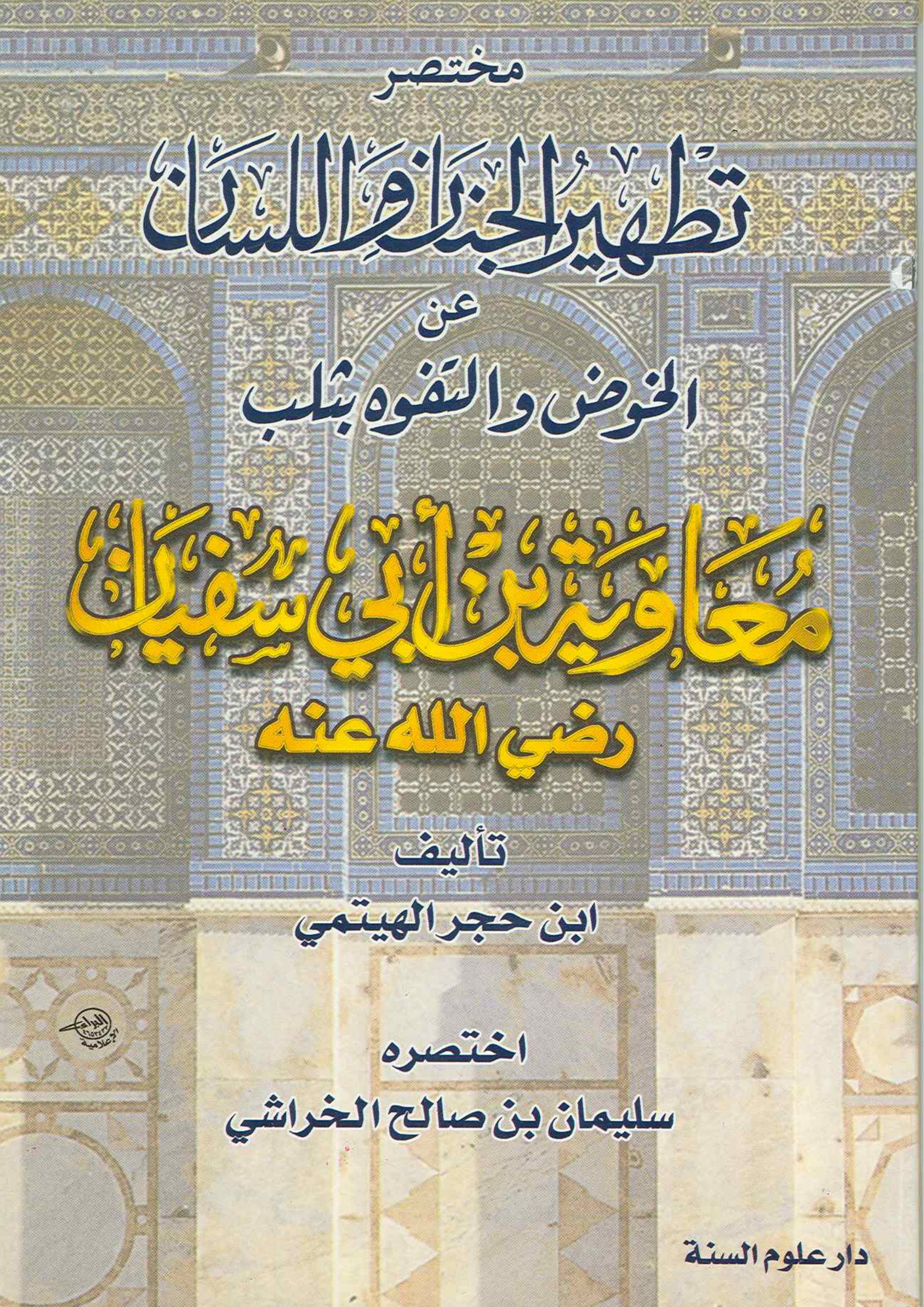
مختصر
تطهير الجنان واللسان
عن
الخوض والتفوه بثلب
معاوية بن أبي سفيان
رضي الله عنه
تأليف
ابن حجر الهيتمي
اختصره
سليمان بن صالح الخراشي
دار علوم السنة

مختصر
تطهير الجنان واللسان
عن
الخوض والتفوه بثلب
معاوية بن أبي سفيان

ⓗ دار علوم السنة للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الهيتمي، أحمد بن حجر.
مختصر تطهير الجنان واللسان/ تحقيق سليمان صالح الخراشي - الرياض.
١٢٣ ص، ١٧ × ٢٤ سم.
ردمك: ٠ - ١ - ٩٣١١ - ٩٩٦٠
١ - معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، ت ٦٠ هـ ٢ - الدولة الأموية
أ - الخراشي، سليمان بن صالح (محقق) ب - العنوان
ديوي ٩٥٣،٠٧ ٢١/٣٠٤٦

رقم الإيداع: ٢١/٣٠٤٦
ردمك: ٠ - ١ - ٩٣١١ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

المملكة العربية السعودية
الرياض - هاتف وفاكس: ٤١٤٠٠١٩ - ص.ب: ٥١٠٩ - الرمز البريدي: ١١٥٤٣

مختصر

تطهير الجنان واللسان عن الخوض والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان

تصنيف

أحمد بن حجر الهيتمي

اختصره واعتنى به

سليمان بن صالح الخراشي

دار علوم السنة

للنشر والتوزيع

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[٣].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

أما بعد: فلم يزل صحابة رسول الله ﷺ يُكرمهم ربهم ويهديهم بإيمانهم إلى مزيدٍ من الأجر العظيم الذي يوفيهم إياه بعد موتهم من جرَّاء تجرؤ أهل البدع عليهم، وتطاولهم على أعراضهم بالسب والشتم والبغضاء، مصداقاً لقول عائشة - رضي الله عنها - لما قيل لها: إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ!، قالت: «أتعجبون من هذا؟! إنما قطع عنهم العمل، وأحب أن لا يقطع عنهم الأجر»[(١)].

ولا يخفى أن من أبرز صحابة رسول الله ﷺ الذين ما فتئ أصحاب القلوب المنكوسة يبغضونهم ويعادونهم معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - الذي تتابعت عليه سهام المغرضين تترى، وأجمعتْ فرقُ أهل البدع على الحطِّ منه وذمه، مع تواصٍ غريب فيما بينهم على ذلك.

فعادَتْهُ الشيعة بجميع فئاتهم.
والجهمية القبورية.
والمعتزلة أهل (العقل) المذموم.
والخوارج.
والمتصوفة.

---

(١) أخرجه ابن عساكر بسنده في «تبيين كذب المفتري»(ص٤٢٣).

وبعض من يُسَمّون بالمفكرين الإسلاميين! وآخرون من دونهم لا تعلمونهم، اللهُ يعلمهم.

أما الشيعة الروافض فقد قال شيخهم ومُعظِّمهم ابن المطهِّر[١] في كتابه (منهاج الكرامة): «إن رسول الله ﷺ لعن معاوية الطليق بن الطليق، اللعين بن اللعين، وقال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه[٢] وكان من المؤلفة قلوبهم...» إلى آخر ما قاله هذا الرافضي الأفاك[٣].

وأما الزيدية، فهاهو أحد معتدليهم! وهو الصنعاني يكرر ذمَّه له ـ رضي الله عنه ـ في كتابه: «ثمرات النظر»[٤] مدعياً أن له «فواقر»! وأنه مؤاخذ ـ لا شك ـ على خطئه في خلافه مع علي ـ رضي الله عنه ـ!

---

(١) كان شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يسميه «ابن المنَجِّس»! كما في «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (٩/ ٢٦٧)

(٢) سيأتي ـ إن شاء الله ـ أن هذا الحديث من الموضوعات.

(٣) منهاج السنة، لشيخ الإسلام (٤/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩).

(٤) (ص١١٣ ـ ١١٤) ولم يتعقبه محقق الكتاب الأخ رائد صبري ـ عفا الله عنه ـ! وما كان ينبغي له هذا، لا سيما في أمرٍ يمس صحابياً.

وقارن صنيعه بصنيع الشيخ عبدالرزاق البدر في تحقيقه لرسالة الصنعاني «الانصاف في حقيقة الأولياء» (ص١٥ ـ ٢٣) حيث تعقبه في هذه المسألة وغيرها من المسائل الأخرى التي جاوز فيها الصواب.

وأما الجهمية القبورية فقد تصدى أحد نابتتهم في هذا العصر (وهو حسن السقاف)[١] للطعن في معاوية ـ رضي الله عنه ـ في كثيرٍ من كتبه، فانظر على سبيل المثال تعليقاته على كتاب ابن الجوزي «دفع شبه التشبيه» (ص١٠٢ و٢٣٦)[٢].

وأما المعتزلة فقد قال خطيبهم الجاحظ في رسالته التي صنفها في ذم بني أمية! بعد أن دعا إلى تكفير معاوية ـ رضي الله عنه ـ! : «وقد أربت عليهم نابتة عصرنا[٣] ومبتدعة دهرنا

---

(١) شابٌ اردني معاصر، تمكن قلبه من الجمع بين شتى المذاهب المذمومة، فهو جهمي أشعري قبوري متشيع! ثم سمعتُ أخيراً أنه قد تحول إلى المذهب الإباضي! فهو كما قال شيخه ابن عربي:

لقد صار قلبي اليوم قابلاً كلَّ صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيتٌ لأوثان وكعبة طائفٍ ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وإيماني

(٢) وقد ردَّ عليه افتراءه على معاوية ـ رضي الله عنه ـ الشيخُ سليمان العلوان في كتابه: «اتحاف أهل الفضل والانصاف بنقض كتاب ابن الجوزي: دفع شبه التشبيه وتعليقات السقاف» (ص٤٧ ـ ٦٥) وكذا الأخ عبدالرحمن الرحمة في كتابه: «الصواعق والشهب المرمية على ضلالات وانحرافات السقاف البدعية» (ص١٥٧ ـ ١٦٠).

(٣) يعني بهم أهل السنة!

فقالت: لا تسبوه؛ فإن له صُحبة، وسب معاوية بدعة، ومن يبغضه فقد خالف السنة»[١].

وقال شيخهم الخياط في رده على ابن الراوندي الملحد: «ثم قال - أي ابن الراوندي - وهم والذين من قبلهم مجتمعون على البراءة من عمرو ومعاوية ومن كان في شقهما. يقال له: هذا قول لا تبرأ المعتزلة منه، ولا تعتذر من القول به»[٢].

وأما الخوارج بكافة فِرَقهم، فقد قال عنهم الأشعري في «المقالات» بأنهم: «يكفرون معاوية»[٣].

وأما المتصوفة فقد صنف أحدهم[٤] كتاباً في سبِّ

---

(١) رسالة للجاحظ في ذم بني أمية مطبوعة مع رسالة المقريزي «النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم» وطبعت ضمن رسائل الجاحظ تحقيق عبدالسلام هارون (٢ / ١٢). وانظر: «آثار الجاحظ» لعمر أبو النصر (ص١٢٥ - ١٣٥) و«الجانب الاعتزالي عند الجاحظ» للدكتور بلقاسم الغالي (ص٢٢٦ وما بعدها)، وقد اعترف الجاحظ في مقدمة كتابه «الحيوان» بأنه قد عيب عليه الميل إلى التشيع لتصنيفه لهذه الرسالة وما شابهها. انظر: «مجموع رسائل الجاحظ» للدكتور محمد طه الحاجري (ص٤٨).

(٢) نقلاً عن: «الجاحظ حياته وآثاره» (ص١٨٩) ونقل صاحب المنية والأمل (ص٣٠) أرجوزة لشيخ المعتزلة بشر بن المعتمر يقول فيها:

«نبرأ من عَمْرٍ ومن معاويه»

(٣) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٤).

(٤) هو الصوفي الحضرمي المدعو عبدالله بن عقيل (ت١٣٤٩هـ) الذي =

معاوية ـ رضي الله عنه ـ سماه: «النصائح الكافية . . . » متشبهاً فيه بإخوانه الروافض في الطعن بصحابة رسول الله ﷺ.

وهذا مما يؤيد من يقول: بوضوح الصلة بين الرافضة والصوفية، حيث تشابهت قلوب هاتين الطائفتين وأُشْرِبت بغض معاوية ـ رضي الله عنه ـ.

وأما من يُسَمَّون بالمفكرين الإسلاميين فإليك مثلين اثنين منهم، لتعلم مدى ما يكنه هؤلاء لمعاوية ـ رضي الله عنه ـ من بغض، وهو ما صنعه المودودي في كتابه سيئ الذكر «الخلافة والملك» عندما اتهم معاوية بالخداع[1] وقال عنه: «خالف

= يدعي الانتساب لأهل البيت!!، له ترجمة في: «أعلام الفكر الإسلامي»! لأحمد تيمور باشا (ص٣٥٠ ـ ٣٥٤). ولهذا الصوفي كتاب آخر سماه «العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل» حمل فيه على علماء السلف كأحمد بن حنبل وابن معين وغيرهم، زاعماً أنهم قد تحاملوا على الشيعة! مسوداً صفحات كتابه بذم معاوية وأبيه وأمه ـ رضي الله عنهم ـ انظر: (ص٧ ـ ٤٧ ـ ٦٨) من كتابه.

وليُعْلم أن حسن المالكي مغرم بكتب هذا الصوفي المتشيع! حيث أصبح يردد أفكاره ـ كما هي ـ في أبحاثه الجديدة (كإخراجه مسلمة الفتح من زمرة الصحابة!)، زاعماً أن هذا «العلوي» من علماء أهل السنة!! تلبيساً على القراء، ولقد صدق الشوكاني ـ رحمه الله ـ عندما قال في كتابه «أدب الطلب» (ص٤٠): «غالب العلوية شيعة»!

(١) كما في (ص٨٤) وانظر أيضاً: (ص٦٦و ٧٨).

معاوية كتاب الله وسنة الرسول[١] خلافاً ظاهراً. . .»[٢] وقال: «ارتكب معاوية ـ من أجل أغراضه السياسية ـ ما يخالف احدى مسلمات الشريعة. . .»[٣]!!

والمثل الثاني قول سيد قطب في كتابه: «كتب وشخصيات» عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ «وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم، لا يملك علي أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل»[٤].

ولأجل عدم تورع أهل البدع وتتابعهم على كيل التُهم والسِّباب لهذا الصحابي الجليل انبرى علماء أهل السنة للدفاع عن عرضه ـ رضي الله عنه ـ وتذكير الخائضين فيه بقول نبيهم ﷺ: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا**»[٥] تالين عليهم ما ورد في فضلهم من آيات كريمة وأحاديث نبوية شريفة[٦] لعلها تخفف

---

(١) صلى الله عليه وسلم!
(٢) (ص١١٣).
(٣) (ص١١٣).
(٤) كتب وشخصيات (ص٢٤٢).
(٥) صحيح الجامع للألباني (١/ ٢٠٩).
(٦) انظرها في رسالة: «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ». للدكتور ناصر الشيخ (١/ ٤٩ ـ ١١٣).

من غلوائهم، وتُلين من تصلبهم في مذاهبهم المذمومة، ولكن لا حياة لمن تنادي، فقد تمكنت البدعة من قلوبهم، ومضوا في غيهم.

ولهذا فقد قام أعلامٌ من أهل السنة بتضمين ما كتبوه من عقائد شيئاً من فضائل معاوية ـ رضي الله عنه[١] ـ الواردة في الأحاديث النبوية أو الآثار عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم. كالخلال في «السنة»[٢] والآجري في «الشريعة»[٣] وقوام السنة الأصبهاني في «الحجة»[٤].

وقام آخرون بدفع التهم الموجهة إليه ـ رضي الله عنه ـ في تصانيفهم؛ كما فعل ابن العربي في «العواصم»، وشيخ الإسلام في «منهاج السنة»، والفرهاروي في «الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية».

وسنَّ آخرون أقلامهم مصنفين أجزاءً وكتباً في فضائله ـ

---

(١) وهكذا فعل أهل الحديث من أصحاب المسانيد والسنن والمعاجم؛ كالإمام أحمد والترمذي وابن حبان والطبراني وابن أبي عاصم وغيرهم.
(٢) (ص٤٣١ ـ ٤٦٠).
(٣) (٣/٤٩٦ ـ ٥٣٠) تحقيق الوليد الناصر.
(٤) (٢/٣٧٦ ـ ٣٧٨).

رضي الله عنه ـ، ومن ذلك :

١ ـ أخبار معاوية، لابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ) كما في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٠١)[١].

٢ ـ جزء فيه فضائل أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان. جمع : السقطي : عبيدالله بن محمد بن أحمد بن جعفر (أبو القاسم) (ت٤٠٦هـ)

يوجد في الظاهرية : برقم ٤٤٩٣ ـ تاريخ (٨ق، القرن السابع الهجري)[٢].

٣ ـ حِكَم معاوية لابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ). يوجد في الظاهرية : برقم ٧٩ أدب[٣].

٤ ـ سؤال في معاوية بن أبي سفيان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطبوع بتحقيق صلاح الدين المنجد ـ بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٩[٤].

٥ ـ كتاب فيه تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ـ رضي

---

(١) انظر: «معجم ما ألف عن الصحابة وأمهات المؤمنين وآل البيت رضي الله عنهم». للشيخ محمد الشيباني (ص٣٠).

(٢) المصدر السابق (ص٩٠).

(٣) المصدر السابق (ص٩٨).

(٤) المصدر السابق (ص١٣٧).

الله عنه ـ من الظلم والفسق في مطالبة دم أمير المؤمنين عثمان.

لأبي يعلى: محمد بن الحسين الفراء (ت٤٥٨هـ)[١].

٦ ـ كتاب شرح عقد أهل الإيمان في معاوية بن أبي سفيان وذكر ما ورد في الأنصار من فضائله ومناقبه.

لأبي علي: الحسين بن علي بن ابراهيم الأهوازي (ت٤٤٦هـ)

يوجد في الظاهرية: رقم ٣٨٦٥ تاريخ[٢].

٧ ـ قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»[٣]: «وقد صنف ابن أبي عاصم جزء في مناقبه ـ أي معاوية رضي الله عنه ـ، وكذلك أبو عمر غلام ثعلب، وأبو بكر النقاش».

٨ ـ «نصيحة الإخوان في ترك السب لمعاوية بن أبي سفيان» لواحد من علماء اليمن صنفه عام ١١٣٧هـ كما في «الذيل على كشف الظنون»[٤].

---

(١) المصدر السابق (ص١٩٢) وطبعته الجامعة الإسلامية بتحقيق الفقيهي.

(٢) المصدر السابق (ص١٤٤).

(٣) (٧/ ١٣١).

(٤) (٤/ ٦٥٢).

هذا بعض ما فعله أسلافنا من جهود في سبيل الذبِّ عن عَلَمٍ من أعلام صحابة نبيهم ﷺ.

وقد حداهم إلى تخصيصه بهذه الجهود دون غيره ممن الصحابة ممن قد يفوقه فضلاً هو أنه ـ رضي الله عنه ـ كان عُرْضة لسهام الأعداء المنهالة عليه من كل جانب، فكان أحق من غيره بذلك؛ لكي لا يترك نهباً لأهل القلوب المنكوسة.

فكان حقاً على أتباع السلف في كل زمان أن يواصلوا ما ابتدأه أسلافهم؛ بأن يصنفوا المصنفات في فضائل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والذب عمَّن اتُهم منهم أو تعرَّض للتنقص والسِّباب، وأن يبعثوا ما اندثر من تراث الأئمة السابقين، ويعيدوا نشره بين الحين والآخر؛ لعله يكف بأس المبتدعة الذين لا يزالون يتناسلون، وقلَّما يخلو زمان أو مكان من وارثٍ لبدعهم وتراثهم العَفِن.

وحيث أنه قد انتدب بعض المبتدعة في عصرنا للخوض في عرض هذا الصحابي الجليل ـ رضي الله عنه ـ، وارتقائهم مرتقىً صعباً بتنقصه وازدرائه ووصفه بأبشع الصفات فقد أحببت

أن أُنظم في سلك المدافعين عن خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ وذلك باختصار رسالة ابن حجر الهيتمي: «تطهير الجنان واللسان عن الخوض والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان» لتكون تبصرةً لاخواني المسلمين لكي لا ينخدعوا ـ بعدها ـ بتمويهات أهل البدع، ويعلموا فَضْل هذا الصحابي الجليل ـ رضي الله عنه ـ الذي شوَّه صورته أهل البدع بكافة أصنافهم ـ كما سبق ـ

وليكن المسلم على علمٍ وبينة أن التسلق إلى عرض هذا الصحابي بالطعن والنقص، هو مقدمة لما بعده من التجرؤ على غيره من الصحابة الآخرين، وكما قال بعض السلف: معاوية مثل الباب لأصحاب رسول الله ﷺ، أو كما قيل

ولكن؛ قبل الحديث عن الرسالة ومؤلفها لابد من التعرض إلى أمر مهم وهو:

توجيه قول من قال: لم يصح في فضل معاوية حديث:

فقد زعم البعض أنه لم يصح في فضائل معاوية حديثٌ

قط، واعتمدوا على مقولةٍ لاسحاق بن راهويه قال فيها: «لا يصح عن النبي ﷺ في فضل معاوية بن أبي سفيان شيء»[١].

وكذا بقول الحافظ ابن حجر في «الفتح»[٢]: «وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة لكن ليس فيها ما يصح من طريق الاسناد».

وكذا احتجوا بصنيع البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه، حيث قال: (باب ذكر معاوية) ولم يقل: (فضائل أو مناقب معاوية).

وقد طار أهل البدع بهذا فرحاً؛ لأنه يعينهم في طمس فضائل هذا الصحابي الجليل.

والجواب: أن مقولة اسحاق ـ إن صحت عنه[٣] ـ وكذا الحافظ اجتهادٌ منهما ـ رحمهما الله ـ وإلا فإنه قد صح في فضائل

---

(١) رواها بسنده عنه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٢٤).

(٢) (٧/ ١٣١). وقد قلده السيوطي في «التوشيح شرح الجامع الصحيح» (٦/ ٢٣٧٩)، وفي «تاريخ الخلفاء» (ص١٦٠).

(٣) لأن في سندها رجلاً مجهول الحال، انظر: «تحصيل ما فات التحديث» للأخ عمرو بن عبدالمنعم سليم (ص١٤٤).

معاوية ـ رضي الله عنه ـ عدة أحاديث ـ كما سيأتي ـ.

وأما قول البخاري: (باب ذكر معاوية) فقد أجاب عنه الشيخ الفرهاروي بقوله: «أما الجواب عما ذكره البخاري فإنه تفنن في الكلام، فإنه فعل كذا في أسامة بن زيد وعبد الله بن سلام وجبير بن مطعم بن عبدالله، فذكر لهم فضائل جليلة معنونة بالذكر»[١] وسيأتي للمصنف نحو هذا الجواب.

أو قد يُقال بأن البخاري لم يصح ـ على شرطه ـ حديث في فضل معاوية ـ رضي الله عنه ـ وليس معنى هذا نفي الصحة مطلقاً، ولهذا لم يخرج شيئاً من فضائله، والله أعلم.

هذه الرسالة ومؤلفها:

أما الرسالة: فهي ـ كما سبق ـ: «تطهير الجنان واللسان عن الخوض والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان» ألفها صاحبها بناءً على طلبٍ من سلطان من سلاطين الهند في عصره يُسمى «همايون»[٢] كما في مقدمة الكتاب.

---

(١) «الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية» (ص٣٤).

(٢) هو همايون بن بابور، توفي عام ٩٦٢هـ. ترجمته في «شذرات الذهب» (٨/ ٣٣٣).

وسبب طلبه كما يقول الهيتمي «أنه نبغ في بلاده قوم ينتقصون معاوية ـ رضي الله عنه ـ وينالون منه، وينسبون إليه العظائم، مما هو منه بريء»[١].

وقد طُبعت في القاهرة وأعادت طبعها دار الكتب العلمية في بيروت بذيل كتاب: «الصواعق المحرقة»[٢] ويوجد لها نسخة مخطوطة في مكتبة الحرم المكي برقم (٢/٥٩ مجاميع) ومركز الملك فيصل ـ الرياض: رقم ١٣١ف. انظر: «معجم ما ألف عن الصحابة وأمهات المؤمنين وآل البيت ـ رضي الله عنهم» أعده محمد بن إبراهيم الشيباني (ص٨٢).

وأما مؤلف الرسالة فهو: أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، شهاب الدين أبو العباس السَّعدي، الأنصاري، المكي، الشافعي.

والهيتمي ـ بالتاء ـ نسبة إلى المحلة التي ولد فيها سنة (٩٠٩) هـ وهي محلة أبي الهيتم من إقليم الغربية بمصر.

له مؤلفات عديدة من أهمها:

١ ـ الإعلام بقواطع الإسلام.

---

(١) (ص٤).

(٢) وطبعتها محققة دار الصحابة بمصر، وكذا حققتها الباحثة: مديحة السدحان كرسالة ماجستير في الرئاسة العامة لتعليم البنات/ كلية الآداب، عام ١٤٠٨هـ، كما في (دليل الرسائل الجامعية) إصدار مركز الملك فيصل للبحوث.

٢ ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر.

٣ ـ الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة.

٤ ـ كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع.

٥ ـ القول المختصر في علامات المهدي المنتظر.

توفي في رجب عام (٩٧٣هـ) بمكة المكرمة[١].

عقيدته: برغم أن ابن حجر الهيتمي قد أجاد في تصنيفه لهذه الرسالة النافعة عن معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ إلا أنه ـ مع هذا ـ يُعد من غلاة الصوفية القبورية الذين نصبوا العداء لدعاة التوحيد من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حيث شنَّع عليه كثيراً في كتبه، ودعا ـ أي الهيتمي ـ إلى ما يخالف عقيدة السلف الصالح:

كتجويزه الاستغاثة برسول الله ﷺ بعد موته.

وتوسله بذاته ﷺ وبالصالحين من بعده.

وتجويزه شد الرحل إلى قبره ﷺ.

---

(١) انظر ترجمته بالتفصيل في: «ابن حجر الهيتمي وجهوده في الكتابة التاريخية» للدكتورة لمياء شافعي، ومقدمة كتابه «الصواعق المحرقة» لعبدالرحمن التركي وكامل الخراط.

وتأصيله لأوراد الصوفية وأحوالهم.

ودعوته إلى الاحتفال بمولد النبي ﷺ.

ونفيه لعلو الله تعالى على خلقه، وتأويل ما جاء في ذلك من النصوص الشرعية.

إلى غير ذلك من المخالفات الشرعية[١].

يقول الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمهما الله ـ: «فإياك أن تغتر بما أحدثه المتأخرون وابتدعوه كابن حجر الهيتمي»[٢].

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ حسن رحمهما الله: «أما ابن حجر الهيتمي فهو من متأخري الشافعية، وعقيدته عقيدة الأشاعرة النفاة للصفات»[٣].

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله: «إن هذا الرجل ممن أعمى الله بصيرته وأضله على علم، وقد انقدحت في قلبه الشبهات، وصادفت قلباً خالياً، فهو لا يقبل إلا بما لفقوا من الترهات، وما فاض من غيض ذوي الحسد والحقد

---

(١) انظرها في مؤلفاته: «تحفة الزوار إلى قبر النبي المختار» و«الفتاوى الحديثية».

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: (٥/ ٥٤٢).

(٣) المصدر السابق (٤/ ٣٧١).

والتمويهات، بما لا يجدي عند ذوي العقول السليمة، والألباب الزاكية المستقيمة»(١).

وقال أيضاً في كتابه «الصواعق المرسلة الشهابية»: «وابن حجر المكي ـ عامله الله بعدله ـ من الغالين في الصالحين، ومن الثالبين لأئمة المسلمين. . . ومن كانت هذه حاله وهذه أقواله فحقيق أن لا يلتفت إليه»(٢).

وقال عنه الشيخ محمد بهجة الأثري ـ رحمه الله ـ: «أحد متفقهة الشافعية الجامدين. خُلق من الجماد، والجماد لايخلو من الجمود! فسمي ابن حجر، فطابق الاسم المسمى، وكان هذا شديد الطعن في أئمة الاصلاح، ولا سيما في رافع لوائهم الإمام ابن تيمية، فقد ملأ كتبه من عبارات الازدراء به والطعن فيه، ولا سيما خاتمة فتاواه الحديثية، فإنه شنع فيها عليه تشنيعاً، وعزا إليه كل مثلبة وعقيدة فاسدة وآراء كاسدة، مما هو خلاف ما صرح به الإمام في مؤلفاته الكثيرة»(٣).

ولكن، برغم هذه الزلات العظيمة التي وقع فيها الهيتمي لا يجعلنا هذا نهجر مصنفاته التي أجاد فيها، ووافق أهل السنة،

---

(١) البيان المبدي لشناعة القول المجدي: (ص٦٧ ـ ٦٨).
(٢) الصواعق المرسلة الشهابية: (ص٢٧٧).
(٣) أعلام العراق (ص٦٥).

كمصنفه هذا «تطهير الجنان» الذي دافع فيه عن الصحابي الجليل معاوية ـ رضي الله عنه ـ

فنحن نأخذ صَفْوه وندع كَدَره، وننبه إلى انحرافاته لكي يحذرها المسلمون[١].

عملي في هذه الرسالة:

كما سبق فقد قمتُ باختصار رسالة الهيتمي «تطهير الجنان واللسان»[٢] وذلك بإفراد مما يتعلق بفضائل معاوية ـ رضي الله عنه ـ وإجابات الهيتمي عن ما وُجِّه له من مطاعن، لأنها ثمرة الرسالة، وحذف الاستطرادات التاريخية التي تعرض لها المؤلف فيما يخص وقعة الجمل وصفين. مع توثيقي لما ورد فيها من أحاديث وآثار.

---

(١) وهو يذكرني بابن العربي المالكي الأشعري، حيث استفاد أهل السنة من كتابه الفذ «العواصم» الذي بين فيه مواقف الصحابة بعد رسول الله ﷺ، ودافع عنهم، وذم مخالفيهم من الروافض وأشباههم، فاعتمده أهل السنة مرجعاً في هذا الباب، مع اطراحهم لمخالفات ابن العربي التي وقع فيها اتباعاً لعقيدته الأشعرية؛ من تأويلات للصفات، وتقليد مذموم، وغير ذلك.

(٢) معتمداً على طبعة دار الكتب العلمية.

مختصر
تطهير الجنان واللسان
عن
الخوض والتفوه بثلب
معاوية بن أبي سفيان

تصنيف
أحمد بن حجر الهيتمي

اختصره واعتنى به
سليمان بن صالح الخراشي

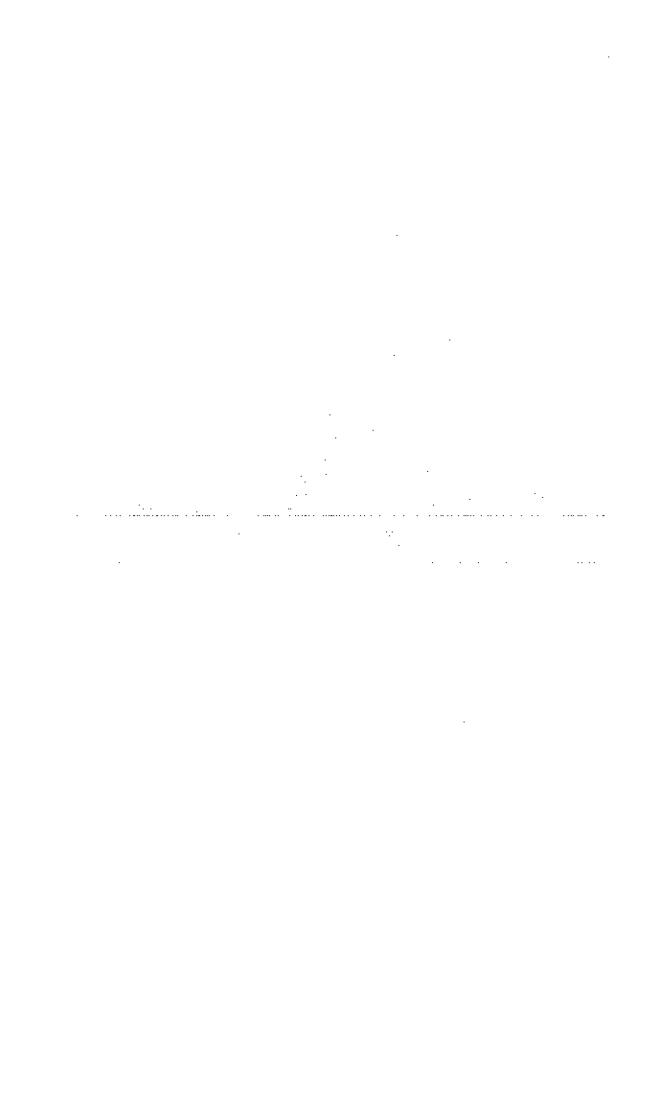

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوجب على الكافة تعظيم أصحاب نبيهم وآله المصطفين الأخيار؛ لما أن الله سبحانه وتعالى برأهم من كل وصمة وسقطة وعثار، وميزهم بأنهم الحائزون لقصب السبق في كل كمال ومضمار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم الغفار، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله النبي المختار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً يتعاقبان تعاقب الليل والنهار، ما قطعت براهينُ علومهم وقواطع حججهم نقولَ المعاندين على أحد منهم في الإيراد والإصدار.

وبعد؛ فهذه ورقات ألفتها في فضل سيدنا أبي عبدالرحمن أمير المؤمنين معاوية بن صخر أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبد مناف القرشي الأموي رضي الله عنه وأرضاه، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، وفي مناقبه وحروبه، وفي الجواب عن بعض الشبه التي استباح سبه بسببها كثيرٌ من أهل البدع والأهواء[1] جهلاً واستهتاراً بما جاء

(١) كالروافض، والمعتزلة، والزيدية وأذنابهم من العقلانيين!

عن نبيهم ﷺ من المبالغة الأكيدة في التحذير عن سب أو نقص أحد من أصحابه، لاسيما أصهاره وكُتَّابه، ومن بشره بأنه سيملك أمته، ودعا له بأن يكون هادياً مهدياً، كما يأتي ذلك وغيره من المزايا الكثيرة.

منها ـ أعني تلك المبالغات ـ أن من آذى منهم أحداً فقد آذاه ومن آذاه فقد آذى الله، ومن آذى الله أهلكه، وأن من أنفق ما أنفق ولو أمثال أحد ذهباً ما بلغ ثواب مد أحدهم ولا نصيفه، وأن من سب أحداً منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ـ أي فرضاً ولانفلاً ـ دعاني إلى تأليفها الطلب الحثيث من السلطان همايون أكبر سلاطين الهند[1] وأصلحهم وأشدهم تمسكاً بالسنة الغراء، ومحبة أهلها، وما نسب إليه مما يخالف ذلك فبفرض وقوعه منه تنصل منه التنصل الدافع لكل ريبة وتهمة، كما يقطع بذلك التواتر عنه في أواخر أمره كأوله، بل حكى لي من هو في رتبة مشايخ مشايخنا من بعض أكابر بني الصديق عنه أنه مكث أربعين سنة لا ينظر إلى السماء حياء من الله تعالى وأنه إنما يأكل من كسب يده، وأن من قدم عليه من علماء أهل السنة بالغ في تعظيمه بما لم

---

(١) سبق التعريف به.

يسمع عن غيره، ككثرة التردد عليه ومع سعة ملكة، وأبهة عسكره جالساً بين يديه على التراب كصغار طلبته، مطلقاً عليه من الأرزاق والإنعام ما يلحقه بأكابر الأغنياء، وسبب طلبه ذلك أنه نبغ في بلاده قوم ينتقصون معاوية رضي الله عنه وينالون منه وينسبون إليه العظائم، مما هو بريء منه، لأنه لم يقدم على شيء مما صح عنه إلا بتأويل يمنعه من الإثم بل ويوجب له حظاً من الثواب كما سيأتي، فأجبته لذلك، وضامًا إليه بيان ما يضطر إليه من أحوال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[١] في حروبه وقتاله لعائشة وطلحة والزبير ومن معهم من الصحابة وغيرهم، وللخوارج البالغين في رواية بضعاً وعشرين ألفاً على الوصف والعلامة اللذين بينهما النبي ﷺ، ومن كونه الإمام الحق والخليفة الصدق، فكل من قاتله من هؤلاء بغاة عليه، لكن من عدا الخوارج ـ وإن كانوا مخطئين ـ هم مثابون لأنهم أئمة فقهاء مجتهدون مؤولون تأويلاً محتملاً، بخلاف الخوارج لأن تأويلهم قطعي البطلان كما سيأتي بيان ذلك

---

(١) الأولى أن يُقال: «رضي الله عنه» في حق علي، كغيره من الصحابة، ولا يخص بأي لفظ دون الصحابة الآخرين، ككرم الله وجهه؛ لأن هذا اللفظ مما تسرب إلى أهل السنة من الروافض ـ قبحهم الله ـ انظر: (معجم المناهي اللفظية) للشيخ بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ (ص٤٥٤).

بأوضح بيان وأحكم برهان.

وإنما ضممت هذا إلى ما سئلت فيه مما ذكر لأنْ طائفة يسمون اليزيدية[١] يبالغون في مدح يزيد ويحتجون.

وممسكا عنان القلم عن أن يسترسل في سعة هذا الميدان؛ لأنه من منح هداية يكفيه أدنى برهان، ومن لا ينجع فيه لا ينجع فيه سنة ولا قرآن، وسميته «**تطهير الجنان واللسان عن الخوض والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان، مع المدح الجلي واثبات الحق العلي، لمولانا أمير المؤمنين علي**» ورتبته على مقدمة وفصول وخاتمة:

* * *

(١) فرقة منحرفة نشأت سنة (١٣٢هـ) بعد سقوط الدولة الأموية لتعيد أركانها من جديد، ثم انحرفت رويداً رويداً إلى أن وصلت إلى تقديس يزيد بن معاوية. انظر لمزيد من التفصيل: رسالة «تاريخ اليزيدية» للمحامي عباس العزاوي، و«الموسوعة الميسرة» إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي (١/ ٣٧٤).

(مقدمة)

يجب عليك أيها المسلم الممتلئ القلب من محبة الله ورسوله أن تحب جميع أصحاب نبيك محمد ﷺ، فإن الله تعالى امتن عليهم بمنة لم يشاركهم غيرهم فيها. وهي حلول نظره ﷺ وإمداده لهم بما قطع غيرهم من اللحوق بهم في باهر كمالهم وعظيم استعدادهم وسعة علومهم، وحقية وراثتهم، وأن تعتقد أنهم كلهم عدول كما أطبق عليه أئمة السلف والخلف، وما حكي عن هفوات لبعضهم كفَّرها الله تعالى عنهم بقوله عزّ قائلاً ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾[1]، وباكثار مدحه ﷺ لهم ونهيه عن انتقاصهم، وترتيبه الوعيد الشديد على نقص أحد منهم، من غير تفصيل، مع كونه في مقام بيان ما نزل إلى الأمة من ربهم، فلولا أن المراد العموم لما ساغ ذلك الإجمال.

ولا يشك أحد أنّ معاوية رضي الله عنه من أكابرهم نسباً وقرباً منه ﷺ وعلماً وحلماً، كما سيتضح ذلك كله لك مما سيُتْلى عليك، فوجبت محبته لهذه الأمور التي اتصف بها

---

(١) سورة البينة، الآية: ٨.

بالإجماع.

فمنها: شرف الإسلام، وشرف الصحبة، وشرف النسب، وشرف مصاهرته له ﷺ المستلزمة لمرافقته له ﷺ في الجنة، ولكونه معه فيها كما سيأتي بدليله، وشرف العلم والحلم والإمارة ثم الخلافة، وواحدة من هذه تتأكد المحبة لأجلها فكيف إذا اجتمعت؟ وهذا كاف لمن في قلبه أدنى إصغاء للحق وإذعان للصدق فلا يحتاج بعد ذلك إلى بسط إلا لمزيد التأكيد والإيضاح.

وتأمل أيها الموفق قوله ﷺ: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا**»[1]، رجال سنده رجال الصحيح إلا واحداً اختلف فيه، وقد وثقه ابن حبان وغيره.

وقوله: ـ وإن كان في سنده متروك ـ «**من حفظني في أصحابي ورد عليّ الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرني**

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٦): «رواه الطبراني، وفيه مسهر بن عبدالملك، وثقه ابن حبان وغيره، وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح» ورواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨).
والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٥) وفي السلسلة الصحيحة (١/ ٤٢).

يوم القيامة إلا من بعيد»[١].

وصح أن خالد بن الوليد ذكر عند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما لشيء كان بينهما فقال سعد للمتكلم: مَه فإن ما بيننا لم يبلغ ديننا[٢].

وجاء بسند متروك: أن علياً لقي الزبير رضي الله عنهما بالسوق فتعاتبا في شيء من أمر عثمان رضي الله عنه ثم أغلظ ابنه عبدالله لعلي فقال: ألا تستمع ما يقول؟ فغضب الزبير وضرب ابنه حتى رجع[٣].

وجاء بسند رجاله ثقات[٤] أن رجالاً من أهل البصرة جاءوا عتبة بن عمير يسألونه عن علي وعثمان فقال لهم: ما أقْدَمَكم غير هذا؟ فقالوا: نعم، قال: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ الآية[٥].

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٦): «رواه الطبراني وفيه حبيب كاتب مالك وهو متروك».

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٦): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٦): «رواه الطبراني وفيه عبد الله بن محمد بن يحيىٰ بن عروة، وهو متروك».

(٤) كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٦).

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٣٤.

وبسند رجاله رجال الصحيح إلا واحداً اختلف فيه[١] : أن الزبير قال في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾[٢]، كنا نتحدث على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فلم نحسب أنّا أهلها حتى نزلت فينا، وفي خبر سنده صحيح[٣] أنه ﷺ قال: «**أريت ما يلقى أمتي بعدي وسفك بعضهم دم بعض وسبق ذلك من الله عز وجل، كما سبق في الأمم قبلهم، فسألته أن يوليني شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل**».

وفي خبر رواته ثقات[٤] «**عذاب أمتي في دنياها**» أي أن ما يقع لهم من الفتن والمحن يكون سبباً لتكفير ذنوب المعذورين منهم.

وصح خبر: «**جعل الله عقوبة هذه الأمة في دنياهم**»[٥] وفي

---

(١) وهو حجاج بن نصير كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٧).
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.
(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٧): «رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح».
(٤) كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٧).
(٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٧): «رواه الطبراني في الكبير والصغير باختصار والأوسط كذلك، ورجال الكبير رجال الصحيح».

خبر رواته ثقات إلا واحداً وثقة ابن حبان «**أمتي أمة مرحومة، قد رفع عنهم العذاب - أي فلا يستأصلون بعذاب ينزل عليهم - إلا عذابهم أنفسهم بأيديهم**»(١) أي يغتال بعضهم لبعض؛ لأنه ﷺ كما صحّ عنه من طرق(٢)، سأل ربه أن لا يجعل بأسهم بينهم فلم يجبه لذلك.

وفي خبر ضعيف «**إن عقوبة هذه الأمة بالسيف، وموعدهم الساعة، والساعة أدهى وأمر**»(٣).

والحاصل: أن ما وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من القتال مقصور على الدنيا فقط، وأما في الآخرة فكلهم مجتهدون مثابون، وإنما التفاوت بينهم في الثواب، إذ من اجتهد وأصاب كعليّ كرم الله وجهه وأتباعه له أجران بل عشرة أجور كما في رواية، ومن اجتهد وأخطأ كمعاوية رضي الله عنه له أجر واحد، فهم كلهم ساعون في رضا الله وطاعته بحسب

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٧): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سعيد بن مسلمة الأموي وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان وقال: يخطئ، وبقية رجاله ثقات».

(٢) انظرها في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٤).

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٧): «رواه الطبراني وفيه عبد الله بن عيسى الحرار وهو ضعيف».

ظنونهم واجتهاداتهم الناشئة عن سعة علومهم التي منحوها من نبيهم ومشرفهم ﷺ وعليهم، فتفطن لذلك إن أردت السلامة في دينك من الفتن والابتداع والعناد والمحن، والله الهادي إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وجاء بسندين رجالهما ثقات إلا واحداً وثقه ابن معين وغيره، أنه ﷺ قال: «**تفرقت بنو إسرائيل - وفي رواية اليهود - على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وأمتي تزيد عليهم بفرقة كلها في النار إلا السواد الأعظم**» وفي رواية في سندها ضعيف جداً: «**كلهم على الضلال إلا السواد الأعظم**» قالوا: يا رسول الله: من السواد الأعظم؟ قال: «**من كان على ما أنا عليه وأصحابي**»[١] من لم يمار في دين الله ومن لم يكفر أحداً من أهل التوحيد بذنب.

(تنبيه) جاء في الحديث الصحيح أن قوة الجدل بالباطل والقدرة عليه من علامات الضلال، وأصل ذلك قوله تعالى ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ

(١) انظر تخريج هذا الحديث الصحيح والكلام على ألفاظه: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١/ ٣٥٦ - ٣٦٧).

خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾[1] وحينئذ فاحذر أيها الموفق أن تسترسل مع مبتدع في جدل أو خصام، فإنك لو أقمت عليه الحجج القطعية والأدلة البرهانية، والآيات القرآنية لم يصغ إليك واستمر على بهتانه وعناده؛ لأن قلبه أشرب حب الزيغ عن سنن أهل السنة وخلفاء التوفيق والمنة، اقتداء بكفار قريش الذين لم ينفع فيهم حجة ولا قرآن. بل عاندوا إلى أن أفناهم العناد والسنان. فكذا هؤلاء المبتدعة الكلام معهم عيّ، فأعرض عنهم رأساً، وابذل جهدك فيما ينفعك الله به في الدنيا والآخرة.

* * *

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥٨.

الفصل الأول
في إسلام معاوية رضي الله عنه

على ما حكاه الواقدي بعد الحديبية[١]، وقال غيره: بل يوم الحديبية وكتم اسلامه عن أبيه وأمه حتى أظهره يوم الفتح، فهو في عمرة القضية المتأخرة عن الحديبية الواقعة سنة سبع قبل فتح مكة بسنة كان مسلماً[٢].

ويؤيده ما أخرجه أحمد[٣] من طريق محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهم: أن معاوية قال: قصرتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المروة، وأصل الحديث في البخاري[٤] من طريق طاوس عن ابن عباس بلفظ: قصرت بمشقص، ولم يذكر المروة في كل من

---

(١) الطبقات الكبرى (٧/ ٤٠٦).

(٢) انظر: المعجم الكبير للطبراني (١٩/ ٣٠٤) و«الإصابة» لابن حجر (٩/ ٢٣١).

(٣) مسند أحمد (١٦٣٩٤ و١٦٤٢١ و١٦٤٢٨ و٢٧٥٩٩ و١٦٤٥٢ و١٦٤٩١).

(٤) (١٧٣٠).

الروايتين، كذا، خلافاً لمن حصر في الأولى الدلالة على أنه كان في عمرة القضية مسلماً، أما الأولى فواضح، لأنه ذكر أن ذلك عند المروة، وهذا يعين أن ذلك التقصير كان في العمرة، لأنه ﷺ في حجة الوداع حلق بمنى إجماعاً، وأما الثانية فلأنه ﷺ لم يقصر في حجة الوداع أصلا لا بمكة ولا بمنى، فتعين أن ذلك التقصير إنما كان في العمرة، فإن قلت: يحتمل أن ذلك التقصير كان في عمرته من الجعرانة بعد فتح مكة وهزيمة حنين وسبيهم والمجيء بهم وبأموالهم إلى الجعرانة في آخر سنة ثمان، فلا يكون فيه شاهد لما ذكرته، قلت: عمرة الجعرانة إنما فعلها ﷺ ليلاً سراً عن أكثر الصحابة، ولذا أنكرها بعضهم، وذلك أنه بعد صلاة العشاء بأصحابه في الجعرانة دخل على أهله، فلما تفرق الناس لمضاجعهم خرج ﷺ محرماً بالعمرة في نفر قليل إلى مكة فقضى نسكه ثم رجع إلى أهله سراً أيضاً، ثم عند صلاة الصبح خرج من عند أهله كبائت عندهم، فلم يعلم بتلك العمرة إلا بعض خواصه ﷺ.

ومعاوية إذ ذاك لم يكن من أولئك الخواص، فاحتمال كون تقصيره له ﷺ في هذه العمرة بعيد، فلم ينظروا إليه، كما هو شأن الاحتمالات البعيدة في الوقائع الفعلية والقولية.

فإن قلت: كونه أسلم وكتم إسلامه ولم يهاجر للنبي ﷺ نقص وأي نقص، قلت: ليس الأمر كذلك بإطلاقه، كيف وقد وقع ذلك للعباس رضي الله عنه عم رسول الله ﷺ على القول الذي رجحه بعضهم أنه أسلم ببدر وكتم أسلامه إلى فتح مكة، بل هذا أولى؛ لأن مدة كتمه لاسلامه نحو ست سنين، ومعاوية إنما كتمه نحو سنة، ولم يعد أحد ذلك نقصاً في العباس لأنه كان لعذر، فكذلك ما وقع لمعاوية علي ذلك القول كان لعذر، والهجرة إنما تجب وتتعين حيث لا عذر، ومنه الجهل بوجوبها ممن يعذر فيه، وقد جاء في رواية أن أمه قالت له: إن هاجرت قطعنا عنك النفقة، وهذا عذر ظاهر.

لا يقال: يرد ما حكاه الواقدي أنه أسلم قبل الفتح، ما ثبت في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: العمرة في أشهر الحج، فعلناها وهذا ـ أي معاوية ـ يومئذ كافر[1] لأنا نقول: ممنوع ذلك، بل لا رد فيه، لأن الفرض أنه كتم اسلامه، فسعد ممن لم يعلم به، فاستصحب حاله إلى يومئذ، وقضى عليه بالكفر فيه باعتبار الظاهر وبالنسبة إلى علمه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٢٥).

أما اسلامه يوم فتح مكة فلا خلاف فيه، كإسلام أمه وأبيه وأخيه يزيد يومئذ.

فإن قلت: ذكر بعض الأئمة في ترجمته أنه شهد مع رسول الله ﷺ حنيناً وأعطاه من غنائم هوازن مائة بعير وأربعين أوقية من الذهب وكان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامهما، وهذا يمنع سبق اسلامه على يوم الفتح، إذ لو سبق اسلامه جميع أهله لم يكن كأبيه في عده من المؤلفة.

قلت: لا يمنعه بوجه، أما أولاً: فمن عده من المؤلفة إنما جرى على أن اسلامه لم يكن إلا يوم الفتح، نظير ما وقع لسعد فيما مر عنه آنفاً، ويدل لذلك أن من ترجمه بذلك قرنه في ذلك بأبيه، وأبوه لم يسلم إلا يوم الفتح اتفاقاً، أما من يقول بتقديم اسلام معاوية قبل الفتح بنحو سنة وأنه إنما امتنع من الهجرة للعذر كما مر فلا يعده من المؤلفة، ومجرد الإعطاء لا يدل على التأليف، ألا ترى أن العباس رضي الله عنه كتم اسلامه ثم أظهره يوم الفتح كما مر، ثم أعطاه النبي ﷺ ما أطاق حمله من النقد الذي جاءه من البحرين؛ فكما أن هذا لا يدل على أن العباس من المؤلفة قلوبهم فكذلك إعطاء معاوية شيئاً له بخصوصه ـ إن فرض صحة وروده ـ لا يدل على أنه كان من المؤلفة قلوبهم.

أما أولاً: فلما مر مما يدل على قوة إسلامه.

وأما ثانياً: فالظاهر بكل فرض قوة اسلامه، وأنه إنما أعطاه زيادة في تأليف أبيه لكونه من أكابر مكة وأشرافهم. ومن ثم قال ﷺ يوم الفتح: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**»(١). فميزه ﷺ بذلك دون غيره زيادة في تأليفه والإعلان بشرفه وفخره؛ لأنه كان يحب الفخر في قومه. وأما أبوه فالظاهر أنه كان منهم. ثم حسن اسلامه وتزايد صلاحه حتى صار من أكابر الصادقين وأفاضل المؤمنين. وإنما يذم بالتأليف من بقي بوصفه، ولم يترق عن كونه ممن يعبد الله على حرف. وحاشا أبي سفيان من ذلك. كما شهدت بذلك آثاره الصالحة في الحروب والمسالك.

ومما يدل على أنه ﷺ علم قوة اسلامه ومزيد استسلامه خضوعه لأوامره ﷺ وأحكامه فقضى عليه بما لا يلائم ما جبل عليه قبل ذلك من الشح حتى على زوجته وولده معاوية بطعامه.

ألا ترى أنه لما أسلم هو وزوجته هند جاءت للنبي ﷺ تشكوه فقالت: يا رسول الله: إن أبا سفيان رجل شحيح فإنه لا

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٨٠).

يعطيني ما يكفيني وولدى -أي معاوية- فقال لها ﷺ: «خذي من ماله ما يكفيك وولدك بالمعروف»[1] فقضى عليه في غيبته بذلك لعلمه برضاه به واستسلامه له. وإن كان فيه غاية المشقة على نفسه بإعتبار ما جبل عليه من الشح، وعلى قوة إسلامها، إذ من جملة الحامل لها عليه أن مكة لما فتحت دخلت المسجد الحرام ليلاً فرأت الصحابة قد ملؤه وأنهم على غاية من الاجتهاد في الصلاة وقراءة القرآن والطواف والذكر وغير ذلك من العبادات، فقالت: والله ما رأيت الله عبد حق عبادته في هذا المسجد قبل هذه الليلة، والله إن باتوا إلا مصلين قياماً وركوعاً وسجوداً، فاطمأنت إلى الإسلام لكنها خشيت إن جاءت إلى النبي ﷺ أن يوبخها على ما فعلته من المثلة القبيحة بعمه حمزة رضي الله عنه. فجاءت إليه مع رجل من قومها لتبايعه، فوجدت عنده من الرحب والسعة والعفو والصفح ما لم يخطر ببالها. ثم شرط عليها أن لا تزنى، فقالت: وهل تزني الحرة يا رسول الله؟ فلم تُجَوز وقوع الزنى إلا من البغايا المعدات لذلك. ثم شرط عليها أن لا تسرق فأمسكت وقالت: إن أبا سفيان رجل بخيل ولا يعطيني ما يكفيني إلا ما أخذت منه من غير علمه. فقال لها:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٦٤) ومسلم (١٧١٤).

«خذي من ماله ما يكفيك وولدك بالمعروف» فلما بلغ ذلك أبا سفيان أظهر غاية الرضا بل زاد فقال: ما أخذت من مالي فهو حلال. وفي رواية أنه ﷺ استأذنه لها فقال: أذنت في أخذ الرطب دون اليابس.

ولما أسلمت كانت على غاية من التثبت واليقظة، فإنها إثر البيعة ذهبت إلى صنم لها في بيتها فجعلت تضربه بالقدوم حتى كسرته قطعة قطعة وهي تقول: كنا منك في غرور.

(تنبيه) جاء بسند حسن: أن معاوية كان أبيض طويلاً أجلح[1] أبيض الرأس واللحية[2]، زاد بعض واصفيه: كان أجمل الناس[3]

---

(١) الجلح: انحسار الشعر من جانبي الرأس، يعني: كان أصلع مقدم رأسه.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٥٨): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير صالح بن صفوان وهو ثقة».

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٥٨): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير مسلم بن جندب وهو ثقة».

الفصل الثاني
(في فضائله ومناقبه وخصوصياته وعلومه واجتهاده وهي كثيرة جداً واقتصرتُ هنا على غالب غررها)

(تنبيه) قيل: عبر البخاري بقوله (باب ذكر معاوية)[١] ولم يقل: فضائله ولا مناقبه؛ لأنه لم يصح في فضائله شيء كما قاله ابن راهويه[٢]. ولك أن تقول: إن كان المراد من هذه العبارة أنه لم يصح منها شيء على وفق شرط البخاري، فأكثر الصحابة كذلك إذا لم يصح شيء منها، وإن لم يعتبر ذلك القيد فلا يضره ذلك، لما يأتي أن من فضائله ما حديثه حسن حتى عند الترمذي كما صرح به في جامعه وستعلمه مما يأتي. والحديث الحسن لذاته كما هنا حجة اجماعاً، بل الضعيف في المناقب حجة أيضاً، وحينئذ فما ذكره ابن راهويه بتقدير صحته لا يخدش في فضائل معاوية لوجوه:

---

(١) البخاري (٧/ ١٣٠مع الفتح).

(٢) الموضوعات لابن الجوزي (٢/ ٢٤)، وقد سبق الرد على هذا في المقدمة.

١ ـ منها: مامر أنه من أشرف الصحابة نسباً جاهلية واسلاماً؛ فإنه من أكابر قريش ومن أقرب بطونهم إلى النبي ﷺ، لأنه يجتمع معه في عبد مناف، وكان لعبد مناف أربعة أولاد: هاشم جد النبي ﷺ، والمطلب جد الشافعي، وعبد شمس جد عثمان ومعاوية رضي الله عنهما، ونوفل.

والثلاثة الأول أشقاء، لكن بنو الأولين لم يفترقوا جاهلية ولا اسلاماً كما قال النبي ﷺ: «**نحن بنو هاشم وبنو المطلب لم نفترق جاهلية ولا اسلاماً**»[١] ومن ثم لما تمالأت قريش عليه ﷺ في السب والإيذاء الذي لا أبلغ منه، انفردت بنو المطلب مع بني هاشم فدخلوا معهم شِعبهم لما حصرتهم قريش فيه وتحالفوا أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم، فاختار بنو المطلب بني هاشم ورضوا بما يحصل لهم من السب والإيذاء منهم، واختار بنو عبد شمس ونوفل قريشاً فكانوا معهم على سب أولئك وإيذائهم، ولهذا لما قسم ﷺ الفيء لم يعط هذين شيئاً منه وخص به الأولين.

٢ ـ ومنها: أنه أحد الكتاب لرسول الله ﷺ كما صح في

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢١١).

مسلم[١] وغيره.

وفي حديث سنده حسن: كان معاوية يكتب بين يدي النبي ﷺ[٢]. قال أبو نعيم: كان معاوية من كتاب رسول الله ﷺ حسن الكتابة فصيحاً حليماً وقوراً[٣]. وقال المدايني: كان زيد بن ثابت يكتب الوحي وكان معاوية يكتب للنبي ﷺ فيما بينه وبين العرب[٤]. أي من وحي وغيره. فهو أمين رسول الله ﷺ على وحي ربه، وناهيك بهذه المرتبة الرفيعة. ومن ثَمَّ نقل القاضي عياض أن رجلاً قال للمعافى بن عمران: أين عمر بن عبد العزيز من معاوية؟ فغضب غضباً شديداً وقال: لا يقاس بأصحاب النبي ﷺ أحد، ومعاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله.

ويوافق ذلك أن عبد الله بن المبارك المجمع على جلالته وأمانته وتقدمه وأنه جمع بين الفقه والأدب والنحو واللغة والشعر والفصاحة والشجاعة والفروسية والسخاء والكرم الواسع حتى كان ينفق من تجارته على القراء في كل سنة مائة

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٠١).
(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٦٠): «رواه الطبراني واسناده حسن».
(٣) الإصابة (٩/ ٢٣٢).
(٤) المصدر السابق.

ألف، والزهد والورع والإنصاف وقيام الليل والإكثار من الحج والغزو والتجارة لله حتى ينفق على أصحابه وغيرهم، ومن ثم كان يقول: لولا خمسة ما اتجرت: سفيان الثوري وابن عيينة والفضيل بن عياض وابن السماك وابن علية فيصلهم، وكان يعطي كل واحد من هؤلاء الخمسة الذين هم غرة العلماء العاملين والأئمة الوارثين جميع ما يحتاج إليه لشدة البدن، ليحوز من معالي العبادات مالا يطيقه غيره. وسئل فقيل: يا أبا عبد الرحمن أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: والله إن الغبار الذي دخل في أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمر بألف مرة، صلى معاوية خلف رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ سمع الله لمن حمده، فقال معاوية رضي الله عنه: ربنا لك الحمد، فما بعد هذا الشرف الأعظم.

وإذا كان مثل ابن المبارك يقول في معاوية ذلك وأن تراب أنف فرسه فضلاً عن ذاته أفضل من عمر بن عبد العزيز ألف مرة؛ فأي شبهة تبقى لمعاند وأي دخل يتمسك به غبي أو جاحد؟!

٣ ـ ومنها ـ وهو من غرر فضائله وأظهرها ـ الحديث الذي رواه الترمذي وقال إنه حديث حسن أن رسول الله ﷺ دعا لمعاوية

فقال: «اللهم اجعله هادياً مهدياً»[١] فتأمل هذا الدعاء من الصادق المصدوق وأن أدعيته لأمته لاسيما أصحابه مقبولة غير مردودة؛ تعلم أن الله سبحانه استجاب لرسول الله ﷺ هذا الدعاء لمعاوية لجعله هادياً للناس مهدياً في نفسه، ومن جمع الله له بين هاتين المرتبتين كيف يتخيل فيه ما تَقَوَّله عليه المبطلون ووصمه به المعاندون؟ معاذ الله لا يدعو رسول الله ﷺ بهذا الدعاء الجامع لمعالي الدنيا والآخرة المانع لكل نقص نسبته إليه الطائفة المارقة الفاجرة، إلا لمن علم ﷺ أنه أهل لذلك حقيق بما هنالك.

فإن قلت: هذان اللفظان أعني هادياً مهدياً مترادفان أو متلازمان فلم جمع النبي ﷺ بينهما؟

قلت: ليس بينهما ترادف ولا تلازم؛ لأن الإنسان قد يكون مهتدياً في نفسه ولا يهتدي غيره به، وقد يهدي غيره ولا يكون مهتدياً، وهي طريقة كثيرين من القصاص الذي أصلحوا ما بينهم وبين الناس وأفسدوا ما بينهم وبين الله، وقد شاهدت من هؤلاء جماعة لم يبال الله بهم في أي واد هلكوا، وقد قال ﷺ «إن

---

(١) أخرجه الترمذي وغيره، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٦١٥) بزيادة: «واهده، واهدِ به».

الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[١] فلأجل هذا طلب ﷺ لمعاوية حيازة هاتين المرتبتين الجليلتين، حتى يكون مهدياً في نفسه هادياً للناس ودالاً لهم على معالي الأخلاق والأعمال.

٤ ـ ومنها: الحديث الذي خرجه الحافظ الحارث بن أبي أسامة وهو أنه ﷺ قال: «**أبو بكر أرق أمتي وأرحمها**» ـ ثم ذكر مناقب بقية الخلفاء الأربعة ثم مناقب جماعة آخرين من أصحابه وذكر منهم معاوية فقال ﷺ: «**ومعاوية بن أبي سفيان أحلم أمتي وأجودها**»[٢] فتأمل هذين الوصفين الجليلين اللذين وصفه ﷺ بهما، تعلم أنه حاز بسببهما مرتبة جليلة رفيعة من الكمال لم يحزها غيره. إذ الحلم والجود ينبئان عن انتفاء سائر حظوظ النفس وشهواتها.

أما الأول: فلأنه لا يحلم لاسيما في مضائق النفس وثوران فوره غضبها إلا من لم يبق في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا حظ للنفس، ومن ثم قال رجل: يا رسول الله أوصني قال «**لا تغضب**»

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٦٢) ومسلم (١١١).

(٢) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في «المطالب العالية» للحافظ ابن حجر (٤/ ٨٥). وقال البوصيري في «اتحاف الخيرة المهرة» (٩/ ٢١٤): «رواه الحارث بسند ضعيف لجهالة بعض رواته».

فلا زال يكرر طلب الوصية وهو ﷺ لا يزيده على قوله «لا تغضب»[١] إعلاماً له بأنه إذا وقي شر الغضب وقي شر خبائث النفس وشهواتها، ومن وقي ذلك حاز جميع معالم الخير وآدابه.

وأما الثاني: فلأن حب الدنيا رأس كل خطيئة كما في الحديث، فمن وقاه الله حبها ورزقه حقيقة الجود كان ذلك علامة على أنه لم يبق في قلبه مثقال ذرة من حسد ولا يلتفت إلى فان، والاشتغال بقاطع من قواطع الخيرات الظاهرة والباطنة، وحيث خلص القلب من هاتين البليتين القبيحتين، بل لا أقبح منهما ـ الغضب والبخل ـ المستتبعان لأمهات النقائص وعظائم الخبائث كان متحلياً بكل كمال وخير مطهراً عن كل شر وضير، وحينئذ نتج من هاتين الكلمتين ـ أحلم أمتي وأجودها ـ الجامعتين المانعتين كما تقرر ـ أن الصادق المصدوق شهد لمعاوية بأنه بلغ جميع ما قررته في شرح هاتين بزيادات، وأنه لا يتطرق إليه ما انتحله عليه ونسبه إليه ذو والبدع، والجهالات.

فإن قلت: هذا الحديث المذكور سنده ضعيف فكيف يحتج به؟ قلت: الذي أطبق عليه أئمتنا الفقهاء والأصوليون

(١) أخرجه البخاري (٦١١٦).

والحفاظ أن الحديث الضعيف حجة في المناقب، كما أنه ثم باجماع من يعتد به حجة في فضائل الأعمال، وإذا ثبت أنه حجة في ذلك لم تبق شبهة لمعاند ولا مطعن لحاسد، بل وجب على كل من فيه أهلية أن يقر هذا الحق في نصابه، وأن يرده إلى إهابه، وأن لا يصغي إلى ترهات المضلين ونزغات المبطلين.

وبعد أن تقرر لك ما ذكر في الحديث الضعيف فليكن ذلك على ذكرك من كل محل من هذا الكتاب وغيره رويت فيه حديثاً ضعيفاً فيه منقبة لصحابي أو غيره، فاستمسك به لما علمت أنه هنا حجة كافية، لكن شرطه على الأصح أن لا يشتد ضعفه بأن لا ينسب لأحد من رواته وضع ونحوه وإلا لم يحتج به مطلقاً[1]،

٥ ـ ومنها: الحديث الذي أخرجه الملا[2] في سيرته ونقله عنه

---

(١) اختلف المحدثون في الاحتجاج بالحديث الضعيف في الفضائل ـ سواء فضائل الأعمال أو الأشخاص ـ فذهب بعضهم إلى أنه حجة فيها، واختار آخرون أن لايُحتج به أبداً، وتوسط آخرون فجوّزوا الاحتجاج به بشروط. انظر تفصيل هذا كله في رسالة الشيخ الفاضل الدكتور عبدالكريم الخضير ـ حفظه الله ـ: «الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به».

(٢) هو معين الدين عمر بن محمد بن خضر الملا الموصلي الاردبيلي الزاهد، نزيل دمشق، ولد بالموصل، وتوفي سنة (٥٧٠هـ). وكتابه اسمه: «وسيلة المتعبدين في سيرة سيد المرسلين». قال محقق =

المحب الطبري في رياضة أنه ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأشدهم حياء عثمان، وأقضاهم علي، ولكل نبي حواري وحواريي طلحة والزبير، وحيثما كان سعد بن وقاص كان الحق معه، وسعيد بن زيد أحد العشرة من أحباء الرحمن، وعبدالرحمن بن عوف من تجار الرحمن، وأبو عبيدة بن الجراح أمين الله وأمين رسوله ﷺ، وصاحب سري معاوية بن أبي سفيان، فمن أحبهم فقد نجا، ومن أبغضهم فقد هلك»[1] فتأمل ما خص به معاوية المناسب لكونه كاتبه وأمينه على الأسرار الإلهية والتنزلات الرحمانية. تعلم أن معاوية كان عنده ﷺ بمكانة علية جداً؛ إذ لا يأمن الإنسان على أسراره إلا من اعتقده جامعاً للكمالات متطهراً عن جميع الخيانات، وهذه من أجل المناقب، وأكمل الفضائل والمطالب.

٦ - ومنها: ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: جاء جبريل

= «الرياض النضرة» (١/ ١٤٢): «هذا الكتاب مطبوع في الهند بدائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد سنة ١٣٩٢هـ ١٩٧١».
انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٣٣٥) وشذرات الذهب (٤/ ٢١٦) والرياض النضرة (١/ ١٤٢) تحقيق الحميري.

(١) الرياض النضرة (١/ ٢١٨) والحديث أخرجه ابن أبي حاتم كما في المصدر السابق.

إلى النبي ﷺ فقال: «**يا محمد استوص بمعاوية فإنه أمين على كتاب الله ونعم الأمين هو**» **رجاله رجال الصحيح إلا واحداً ففيه لين والآخر قال الحافظ الهيثمي لا أعرفه**[1]، ومثل هذا الذي قاله ابن عباس لا يقال مثله من قبل الرأي، فله حكم المرفوع إلى النبي ﷺ وجهالة أحد رواته غايتها أنها توجب ضعف سنده، وقد مر آنفاً أن الضعيف حجة في المناقب.

٧ ـ ومنها: أنه ﷺ دخل على زوجته أم حبيبة ورأس معاوية في حجرها ـ وهي تقبله ـ فقال لها: أتحبيه؟ قالت: ومالي لا أحب أخي، فقال ﷺ: «**فإن الله ورسوله يحبانه**» **قال الحافظ المذكور: في سنده من لم أعرفهم**[2] أي فهو ضعيف، ومر أنه حجة هنا.

٨ ـ ومنها: فوزه بمصاهرته ﷺ، فإن أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها أخته، وقد قال ﷺ: «**دعوا أصحابي وأصهاري فإن من حفظني فيهم كان معه من الله حافظ ومن لم يحفظني فيهم**

---

(١) مجمع الزوائد (٩/ ٣٦٠) وقال: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن فطر ولم أعرفه. وعلي بن سعيد الرازي فيه لين، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٢) مجمع الزوائد (٩/ ٣٦٠) وقال: «رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم».

تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه» رواه الإمام الحافظ أحمد بن منيع[١].

وقال ﷺ: **«عزيمة من ربي وعهد عهده إلي أن لا أتزوج إلى أهل بيت ولا أزوج بنتاً من بناتي لأحد إلا كانوا رفقائي في الجنة»** رواه الحارث بن أبي أسامه[٢].

وقال ﷺ: **«سألت ربي أن لا أتزوج إلى أحد من أمتي ولا أزوج أحداً من أمتي إلا كان معي في الجنة فأعطاني ذلك»** رواه الحارث أيضاً[٣].

فتأمل هذا الفضل العظيم والجاه الجسيم لكل أهل بيت تزوج منهم ﷺ فعلم أن الله منح بيت أبي سفيان ـ وأجلهم معاوية ـ من الشرف والكمال ومن العز والفخر والجلال ومن العظمة والحفظ والإقبال، ما حصل لهم به التميز الأكبر والقرب الأظهر.

وتأمل أيضاً قوله ﷺ: **«من حفظني فيهم كان معه من الله**

---

(١) كما في المطالب العالية (٤/ ١٥١) وقال البوصيري في «اتحاف الخيرة المهرة» (٩/ ٣٤٠): «رواه أحمد بن منيع بسند فيه راوٍ لم يُسَمَّ».

(٢) كما في المطالب العالية (٤/ ٨٠).

(٣) كما في المطالب العالية (٤/ ٧٩).

حافظ ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه. ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه» لعلك تنكف أو تكف غيرك عن الخوض في عرض أحد ممن اصطفاهم الله لمصاهرة رسوله وأدخلهم في حيطة قربه وتكميله. فإن الخوض في أحد من هؤلاء هو السم الناقع والسيف القاطع، ومن تحسى مثل هذا السم كانت نفسه رخيصة عليه وشهوته جارة لكل سوء إليه، ومن هو كذلك لا يبالي الله به في أي واد هلك، ولا في أي ضلال ارتبك، أعاذنا الله من غضبه ونقمه بمنه وكرمه آمين.

٩ ـ ومنها: أنه ﷺ بشره بالخلافة: روى أبو بكر بن أبي شيبة[1] بسنده إلى معاوية رضي الله عنه أنه قال: ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال رسول الله ﷺ: «**إذا ملكت فأحسن**» وروى أبو يعلى بسند فيه سويد وفيه مقال لا يؤثر فيه عن معاوية قال: نظر إلي رسول الله ﷺ فقال: «**يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل**»[2] قال: فما زلت أظن أني مبتلى بعمل، لقول رسول الله

---

(١) كما في المطالب العالية (٤/ ١٠٨) وقال البوصيري في «اتحاف الخيرة المهرة» (٩/ ٣٩٩): «رواه أبو بكر بن أبي شيبة بسند لضعيف؛ لضعف إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر» والحديث أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥٢٢) وابن عساكر في تاريخه (١٦/ ٦٩٩).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧٣٨٠) وإسناده ضعيف كما قال الهيثمي =

ﷺ، أي لأجله، حتى وليت، أي الإمارة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ثم الخلافة الكاملة لما نزل له الحسن عنها.

ورواه أحمد بسند صحيح لكن فيه إرسال وصله أبو يعلى بسنده الصحيح ولفظه عن معاوية أنه ﷺ قال لأصحابه «**توضؤا**» فلما توضؤا نظر إلي فقال: «**يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل**»[1] والثاني بنحو ما مر، وفي رواية للطبراني في الأوسط: «**فاقبل من محسنهم واعف عن مسيئهم**»[2].

وروى أحمد بسند حسن آخر يقاربه أن معاوية أخذ الأداوة لما اشتكى أبو هريرة، أي لأنه كان هو الذي يحملها وسار معاوية بها مع النبي ﷺ فبينما هو يوضىء رسول الله ﷺ رفع رأسه إليه مرة أو مرتين وهو يتوضأ فقال: «**يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل**»[3] قال معاوية: فما زلت أظن أني سألي الخلافة حتى

= لضعف سويد بن سعيد، لكنه لم ينفرد به، إذ تابعه روح بن عبادة وهو ثقة كما عند أحمد (٤/١٠١).

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٥٨) «ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح».

(٢) مجمع الزوئد (٩/٣٥٩).

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٥٨): «رواه أحمد واللفظ له وهو مرسل، ورواه أبو يعلى فوصله» وقد سبق.

وليت.

وفي حديث سنده حسن سئل رسول الله ﷺ: كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ قال: «**اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل**»[١] ومعاوية منهم بلا شك؛ لأن الأئمة قد اتفقوا على أن عمر بن عبدالعزيز منهم ومعاوية أفضل منه كما مر عن ابن المبارك وغيره، فليكن منهم أيضاً.

فإن قلت: كيف ذلك وقد جعل ﷺ ملكه عاضا بدليل ما صح أن حذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ في الفتن روى عن النبي ﷺ أنه قال: «**تكون فيكم النبوة، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم ملكاً عاضا، ثم ملكاً جبرية، ثم خلافة على منهاج النبوة**»[٢] قال حبيب: فلما قام عمر بن عبدالعزيز وكان يزيد بن النعمان بن بشير من صحابته كتبت له بهذا الحديث أذكره إياه فقلت: إني لأرجو أن يكون أمير المؤمنين يعني عمر بعد الملك العاض والجبرية، فأدخل كتابي على عمر وقرأه عليه، فسُرَّ به

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٩٣): «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه مجالد بن سعيد وثقه النسائي وضعفه الجمهور، وبقية رجال ثقات».

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٨).

وأعجبه، وقد عنى ﷺ الخلافة الأولى بالحسن، حيث جعل مدتها بعده ثلاثين سنة وآخر الثلاثين من خلافة الحسن ولم تثبت الخلافة لمعاوية إلا بعد أن نزل له الحسن عنها؛ فلزم من هذا التقدير أن خلافة معاوية من الملك العاض وأن معاوية ليس من هؤلاء الاثنى عشر خليفة.

قلت: هي وإن كانت كذلك غير ضارة في معاوية: فإنه وقع في خلافته أمور كثيرة ولم يؤلف مثلها في زمن الخلفاء الراشدين، فسميت لا شتمالها على تلك الأمور ملكاً عاضاً، وإن كان معاوية مأجوراً على اجتهاده للحديث: «**إن المجتهد إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد**»[1] ومعاوية مجتهد بلا شك، فإذا أخطأ في تلك الاجتهادات كان مثاباً، وكانت غير نقص فيه، وإن سمي ملكه المشتمل عليهما عاضاً، ثم رأيت حديثاً مصرحاً بأن ملك معاوية وإن كان عاضاً من وجه أو وجوه فهو رحمة، ولفظه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول هذا الأمر نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكاً ورحمة ثم يكون إمارة ورحمة ثم يتكادمون عليها تكادم الحمير، فعليكم بالجهاد، وإن أفضل**

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

جهادكم الرباط، وإن أفضل رباطكم عسقلان»[1] رواه الطبراني، ورجاله ثقات، وهو صريح فيما ذكرته، إذ الملك الذي بعد الخلافة هو ملك معاوية وقد جعله رحمة، ففيه عض ورحمة باعتبار، لكن الظاهر باعتبار ما وجد من الخارج أن الرحمة في ملك معاوية أظهر والعض فيما بعده أظهر إلا ولاية عمر بن عبدالعزيز فإنها ملحقة بالخلافة الكبرى، ولذا ألحق بالخلفاء الراشدين، وصح حديث: «**لا يزال أمر أمتي صالحاً حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**»[2] وفي رواية في سندها ضعيف «**اثنا عشر قيما من قريش لا يضرهم عداوة من عاداهم**»[3].

١٠ ـ ومنها: ما جاء بسند رجاله ثقات على خلاف في بعضهم أنه ﷺ استشار أبا بكر وعمر في أمر وقال لهما «**أشيروا عليَّ**» مرتين. ففي كلٍ يقولان: الله ورسوله أعلم. فأرسل لمعاوية،

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٩٣): «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٩٣): «رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجال الطبراني رجال الصحيح».

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٩٤): «رواه الطبراني وفيه روح بن عطاء وهو ضعيف».

فلما وقف بين يديه قال: «**أحضروه أمركم وأشهدوه أمركم فإنه قوي أمين**»[١] فتأمل هذين الوصفين الجليلين اللائقين بالخلافة تجد معاوية أهلاً لها، ولذا لما نزل له الحسن عنها لم يطعن أحد فيه بكلمة وإنما كان الطعن عليه قبل ذلك لأن الخليفة الحق علي فولده الحسن كرم الله وجهيهما.

١١ - ومنها: ما جاء بسند رواته ثقات على خلاف فيهم وإرسال: «**وقه سوء العذاب**» وفي رواية: «**اللهم علم معاوية الكتاب والحساب**»[٢].

١٢ - ومنها: أن عمر رضي الله عنه مدحه وأثنى عليه وولاه

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٩): «رواه الطبراني والبزار باختصار اعتراض أبي بكر وعمر ورجالهما ثقات وفي بعضهم خلاف، وشيخ البزار ثقة، وشيخ الطبراني لم يوثقه إلا الذهبي في الميزان، وليس فيه جرح مفسّر، ومع ذلك فهو حديث منكر، والله أعلم».

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٩): «رواه البزار وأحمد في حديث طويل والطبراني وفيه الحارث بن زياد، ولم أجد من وثقه، ولم يرو عنه غير يونس بن سيف، وبقية رجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف».

والحديث أخرجه ابن حبان (٧٢١٠ الإحسان).

وقال محقق كتاب «فضائل الصحابة» للإمام أحمد (٢/ ٩١٣): «إسناده حسن لغيره» ثم ذكر من أخرجه، وساق له شاهداً، فراجعه للزيادة.

دمشق الشام مدة خلافة عمر، وكذلك عثمان رضي الله عنه، وناهيك بهذه منقبة عظيمة من مناقب معاوية، ومن الذي كان عمر يرضى به لهذه الولاية الواسعة المستمرة.

وإذا تأملت عزل عمر لسعد بن أبي وقاص الأفضل من معاوية بمراتب وابقائه لمعاوية على عمله من غير عزل له علمت بذلك أن هذا ينبىء عن رفعة كبيرة لمعاوية، وأنه لم يكن ولا طرأ فيه قادح من قوادح الولاية، وإلا لما ولاه عمر أو لعزله وكذا عثمان، وقد شكا أهل الأقطار كثيراً من ولاتهم إلى عمر وعثمان فعزلا عنهم من شكوهم وإن جلت مراتبهم، وأما معاوية فأقام في إمارته على دمشق الشام هذه المدة الطويلة فلم يشك أحد منه، ولا اتهمه بجور ولا مظلمة، فتأمل ذلك ليزداد اعتقادك أو لتسلم من الغباوة والعناد والبهتان.

وسبب ولايته لدمشق أن أبا بكر رضي الله عنه لما استخلف بعث الجيوش إلى الشام وولاها يزيد بن أبي سفيان أخا معاوية، فسار معه معاوية فلما مات يزيد استخلف أخاه معاوية على عمله فأقره عمر رضي الله عنه على ذلك مدة خلافته، وكذلك عثمان، فمكث أميراً نحو عشرين سنة وخليفة عشرين، ثم لم يبايع علياً كرم الله وجهه للتأويل الآتي بيانه، واستقل في

زمن خلافة علي بالشام ثم ضم إليها مصر . ثم تسمى بالخلافة بعد الحكمين يوم صفين .

ثم استقل بها لما صالح الحسن ونزل له الحسن عنها باختياره ورضاه بل مع كثرة أتباعه وأعوانه، ومع غلبة الظن لو حارب معاوية لغلبه، فلم يكن لنزوله سبب إلا خشيته رضي الله عنه على دماء المسلمين، فإنه كما قال علم أن الفئتين متكافئتان أو قريبتا التكافيء فلا يقع ظفر واحدة إلا بعد فناء معظم الأخرى، والترك لأجل ذلك من أعظم مناقبه رضي الله عنه، ولذا أثنى عليه به جده ﷺ على المنبر على رؤوس الأشهاد إعلاماً لهم بما سيقع منه، لئلا يظن الجاهل أن الحامل له على ذلك الصلح جبن أو نحوه، فقال وقد أمسكه: «**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[1] فساوى بينهم في الاعتقاد الصواب، والتخلي عن شئوم العصبية والارتياب .

وبعد نزول الحسن لمعاوية اجتمع الناس عليه وسمي ذلك العام عام الجماعة، ثم لم ينازعه أحد من أنه الخليفة الحق من يومئذ .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

١٣ ـ ومنها: أن عمر رضي الله عنه اعترض عليه مرة، فبالغ في الرد على عمر حتى استحيا عمر منه.

أخرج ابن المبارك بسند قوي أن معاوية في زمن خلافة عمر قدم عليه مع جماعة وهو أجملهم فخرج إلى الحج مع عمر رضي الله عنهما، وكان عمر ينظر إليه فيتعجب منه ثم يقول له: بخ بخ إذاً نحن خير الناس، أن جمع لنا خير الدنيا والآخرة، فقال معاوية: يا أمير المؤمنين سأحدثك عن سبب نمو أبداننا وزيادة جمال صورنا، إنا بأرض الحمامات والريف، فقال عمر كلاماً حاصله: بل ما سبب ذلك إلا مزيد تنعمك في المأكل والمشرب، والمحتاجون وراء بابك.

ثم لما وصل إلى ذي طوى أخرج معاوية حلة ريحها طيب فنقم عليه عمر وقال: يخرج أحدكم حاجاً تفلاً ـ أي أشعث أغبر ـ حتى إذا جاء أعظم بلدان الله حرمة أخرج ثوبيه كأنهما كانا في الطيب فلبسهما.

فقال له معاوية: إنما لبستهما لأدخل بهما على عشيرتي، والله لقد بلغني أذاك ههنا وفي الشام، قال أسلم ـ مولى عمر ـ: فالله يعلم أن لقد عرفت الحياء في وجه عمر. فنزع معاوية

الثوبين ولبس ثوبيه اللذين أحرم فيهما[١].

فتأمل مواجهة معاوية لعمر بقوله: لقد بلغني أذاك ههنا وفي الشام، فاستحيا منه الذي كان لا يخاف في الله لومة لائم ولم يرد على معاوية ببنت شفة، تعلم أن عمر رجع عن الإنكار عليه لأنه بين له عذره في فعله، وهو أنه لم يفعل ذلك إلا لقصد صحيح، وهو التجمل عند الدخول على عشيرته، وذلك في أصله محبوب بل مؤكد، لأنه ﷺ كما ورد كان إذا جاءه وفد لبس أحسن ثيابه وأنظفها، وتكحل وتعمم ونظر في المرآة، وساوى ما يحتاج إلى التسوية. فقالت له عائشة: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «**وأنا إن الله جميل يحب الجمال**»[٢]. وفي هذا أحاديث كثيرة استوعبتها مع بيان مراتبها ومعانيها في كتابي (در الغمامة في العذبة والطيلسان والعمامة)، وهذا ما رآه معاوية.

وأما عمر فنظر إلى الحالة الراهنة وأن المحرم أشعث أغبر كما قال ﷺ وقصد التجمل لم يطلع عليه عمر، وبفرض الاطلاع

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (كما في الإصابة ٩/ ٢٣٤) قال ابن حجر: وهذا سند قوي.

(٢) انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٦٢٦) لبيان طرق وألفاظ هذا الحديث. وقوله ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**» رواه مسلم (١/ ٦٥).

عليه يمكنه أن يقول هذا ـ أعني التجمل للعشيرة ـ يحصل بعد التحلل من الإحرام، فلا ضرورة إليه قبله، وبهذا يعلم أن ما رآه عمر هو الأحق بالسنة والأوفق للحديث المذكور وما رآه معاوية من أنه يستثنى من ذلك القدوم على الأهل فينبغي التجمل حينئذ ولو للمحرم، يمكن أن يقال به عملاً بالقاعده المقررة في الأصول أنه يستنبط من النص معنى يخصصه، ومع ظهور رأى عمر عذر معاوية فيما رآه أيضاً واحتمل قوله: لقد بلغني أذاك إلى آخره نظراً إلى القاعدة المقررة: أن المجتهد لا ينكر على مجتهد.

١٤ ـ ومنها: ثناء الصحابة رضي الله عنهم الثناء البليغ جداً عليه، أخرج ابن سعد أن معاوية دخل على عمر رضي الله عنهما وعليه حلة خضراء فنظر إليه الصحابة ـ أي نظر إعجاب به أو منه ـ فلما رآهم عمر ينظرون إليه جعل يضربه بالدرة وهو يقول: الله الله يا أمير المؤمنين فيم فيم؟ فلم يكلمه عمر حتى رجع لمجلسه، فقال له الصحابة: لم ضربت الفتى ما في قومك مثله؟ أي عمالك، ويحتمل أن يريدوا بالقوم قريشاً، وعلى كل فالمثلية نسبية، فقال: ما رأيت منه إلا خيراً لكني رأيته وأشار بيده إلى

فوق فأردت أن أضعه[١] أي رأيت عليه ما يشعر بالتكبر فأردت أن أرشده إلى التواضع ما أمكنه.

فإن قلت: لم قال معاوية فيما مر آنفاً إنما لبستهما إلى آخره وسكت هنا؟

قلت: لأن ما صدر منه هنا فعل وهو الضرب، وبعد وقوعه باجتهاد صحيح لا يمكن اعتراضه ولا الكلام فيه، وبهذا يظهر لك تمام فقه معاوية وبلوغه المرتبة العلية في العلم والأدب، ولذا قابله عمر بما يأتي لا سيما وقد قال له الصحابة رضي الله عنهم الذين هم أهل مجلسه وهم أكابر المهاجرين والأنصار كما دلت عليه الآثار الصحيحة: ما في قومك مثله، مشيرين إلى نوع اعتراض عليه فأجابهم بقوله: ما رأيت منه وما بلغني عنه إلا الخير، وهذا لمن تأمله يدل على منقبة باهرة ومدحة ظاهرة لمعاوية؛ إذ هذه الشهادة من عمر وأهل مجلسه الذين هم أكابر المهاجرين والأنصار بأنه ما في قومه مثله وبأنه لم ير منه ولم يبلغه عنه إلا الخير يقطع أعناق الطاعنين عليه، ويقصم ظهور المعاندين والغالين فيما نسبوه إليه.

---

(١) انظر: الإصابة (٩/ ٢٣٤).

١٥ ـ ومنها: أن عمر حضّ الناس على اتباع معاوية والهجرة إليه إلى الشام إذا وقعت فرقة. أخرج ابن أبي الدنيا بسنده أن عمر قال: إياكم والفرقة بعدي، فإن فعلتم فاعلموا أن معاوية بالشام، فإذا وكلتم إلى رأيكم كيف يستبزها منكم ـ كذا رأيت في النسخة التي عندي من الإصابة والظاهر أن كيف معمولة لمحذوف دل عليه السياق وضمير يستبزها للفرقة ـ وحينئذ فالمعنى أنه يحرضهم إذا وقعت فتنة أوجبت افتراق الصحابة لموت الخلفاء الراشدين، أن يخرجوا إلى معاوية ويفوضوا إليه أمر تلك الفتنة لعظيم رأيه وحسن تدبيره، لاتفاقهم على أنه كان من دهاة العرب وحكمائهم ولا يعرف الرأي الصحيح عند وقوع الفرقة واصطلام نار الفتنة إلا من أخذ من الحكمة والدهاء الناشئين عن كمال العقل وصحة التجربة بالبر الكلى أو الأغلبي بالغاية القصوى والمرتبة العليا، ومعاوية ممن بلغ هذه المرتبة كما شهدت به أقرانه وأقضيته وتصرفاته وحلمه وحكمه، فلذا أمرهم عمر باللحوق به وأشار إليهم أنهم يلقون إليه مقاليد أمور تلك الفتنة فإنه يطفئها برأيه وأنهم إن وُكلوا إلى رأيهم بقوا في الفتنة حائرين ولم يحسنوا التخلص منها على الوجه الأكمل والطريق الأقوم الأعدل.

وهذا من عمر رضي الله عنه كرامة باهرة لتضمنه الإخبار بأن الأمر سيصير إليه وأن مقاليد الأمة لا يعول فيها إلا عليه، ومدحة عليَّة لمعاوية وشهادة له بالقوة النفسية وغايتها من الذكاء والدهاء والعلم ببواطن الأمور على ما هي عليه، والحكمة المقتضية لوضع كل شيء في محله، والاجتهاد في الفروع والأحكام المنجي من غياهب المشكلات عن مضايق العويصات، وكفى بهذه الأوصاف الجليلة من مثل عمر لمعاوية رفعة في مرتبته وشهادة بكمال منقبته وباهر فطنته.

١٦ - ومنها: ثناء علي كرم الله وجهه عليه بقوله: قتلاي وقتلى معاوية في الجنة. رواه الطبراني بسند رجاله موثقون على خلاف في بعضهم[١]، فهذا من علي صريح لا يقبل تأويلاً بأن معاوية مجتهد توفرت فيه شروط الاجتهاد الموجبة لتحريم تقليد الغير، إذ لا يجوز لمجتهد أن يقلد مجتهداً بالاتفاق، سواء خالفه في اجتهاده وهو واضح أم وافقه؛ لأن كلا إنما أخذ ما قاله من الدليل لا غير، وذلك يسمى موافقاً لا تقليداً، ولهذا أول أصحابنا ما أوهمه بعض العبارات أن الشافعي رضي الله عنه أخذ بقول عثمان في شرط البراءة في العيب عن جميع العيوب، وبأكثر أقوال زيد

---

(١) كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٦٠).

في الفرائض، بأن المراد أن اجتهاده وافق اجتهادهما، لا أنه قلد أحدهما، لأن المجتهد وإن تأخر لا يجوز له تقليد مجتهد آخر ولو من الصحابة رضوان الله عليهم.

وتصريح لا يقبل تأويلاً من علي أيضاً بأن معاوية مثاب لأجل اجتهاده وإن أخطأ فيه كما هو شأن سائر المجتهدين بنص الحديث، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر مأجور هو وأتباعه المقلدون له والموافقون له في الاجتهادات. لأن كثيراً من الصحابة وفقهاء التابعين كانوا موافقين له في اعتقاده حقية ما هو عليه حتى مقاتلة علي، ففعله لذلك لم يكن عن حسد لعلي ولا عن طعن، حاشاه الله من ذلك، وإنما كان عن أمر قام في اعتقاد معاوية باعتبار الدليل الملجئ له إلى ذلك، لأن المجتهد أسير الدليل الذي انقدح له فلا يجوز له مخالفته بوجه من الوجوه، فلذا أثيب هو وأتباعه، وإن كان الحق مع علي وأتباعه وتأمل كون علي كرم الله وجهه مع اعتقاده حقيقة ما هو عليه وبطلان ما عليه معاوية حكم مع ذلك بإثابة معاوية وأتباعه، وأنهم كلهم في الجنة، فعلم بصحة ما ذكرته أن هذا من علي صريح لا يقبل تأويلاً بأن معاوية وأتباعه مثابون غير مأثومين بما فعلوه من قتال علي، وإنما قاتلهم مع ذلك لأن البغاة يجب على الإمام قتالهم، وهؤلاء بغاة إذ ليس من شرط البغي الإثم، بل من شرطه التأويل

الغير القطعي البطلان، ومن ثم قال أئمتنا: ليس البغي اسم ذم، وقال الشافعي رضي الله عنه: أخذت أحكام قتال البغاة مما فعله علي لما قاتل معاوية.

ثم ما ذكر عن علي صريح أيضاً في أن قوله عز قائلاً: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية[1] يشمل معاوية وعلياً وأتباعهما.

(تنبيه): ينبغي لك إذا باحثت أحداً من أولاد علي الذي يعرفون القواعد الأصولية والحديثية ويذعنون للحق إذا ظهر، أن تذكر له كلام علي هذا ونحوه مما يأتي عن أهل البيت فإنه أبلغ عنده من أكثر الأدلة السابقة والآتية.

١٧ ـ ومنها: ثناء ابن عباس رضي الله عنهما على معاوية وهو من أجل آل البيت والتابعين لعلي كرم الله وجهه.

ففي صحيح البخاري عن عكرمة قال: قلت لابن عباس: إن معاوية أوتر بركعة؟ فقال: إنه فقيه، وفي رواية: إنه صحب النبي ﷺ[2].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ١٣٠ فتح).

وهذا من أجل مناقب معاوية.

أما أولاً: فلأن الفقه أجل المراتب على الإطلاق ومن ثم دعا ﷺ لابن عباس فقال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[١] وقال ﷺ في الحديث الصحيح: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[٢].

وأما ثانياً: فصدور هذا الوصف الجليل لمعاوية من أعظم مناقبه، كيف وقد صدر له من حبر الأمة وترجمان القرآن وابن عم رسول الله ﷺ وابن عم علي رضي الله عنهما، والقائم بنصرة علي في حياته وبعد وفاته؟ وصح ذلك عنه في البخاري الذي هو أصح الكتب بعد القرآن.

وإذا ثبت مع هذه الكمالات في الرواة والمروي عنه أن معاوية فقيه، فقد أجمعت الأمة أهل الأصول والفروع على أن الفقيه في عرف الصحابة والسلف الصالح وقرون آخرين بعدهم هو المجتهد المطلق، وأنه يجب عليه أن يعمل باجتهاد نفسه ولا يجوز له أن يقلد غيره في حكم من الأحكام بوجه كما مر، وحينئذ ينتج من ذلك عذر معاوية في محاربته لعلي كرم الله

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣).
(٢) أخرجه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧).

وجهه، وإن كان الحق مع علي كما مر ويأتي، هذا ما يتعلق بقول ابن عباس إنه فقيه، وقد سبق آنفاً عن عمر في حضه الناس على اتباع معاوية ماهو صريح في أن معاوية مجتهد بل في أنه من أعظم المجتهدين وأجلهم.

وسبق عن علي في قوله إن قتلى معاوية في الجنة، ما هوصريح لا يقبل تأويلاً في أن معاوية اجتهد. وإذا تقرر أن عمر وعلياً وابن عباس اتفقوا على أن معاوية من أهل الفقه والاجتهاد اندفع ما طعن كل طاعن عليه، وبطل سائر النقائص المنسوبة إليه.

ومما يتعلق بقول ابن عباس إنه صحب رسول الله ﷺ أن هذا من ابن عباس وقع زجراً لعكرمة المنكر على معاوية ايتاءه بركعة بما حاصله أن معاوية صحب النبي ﷺ فحل عليه من لحظه وكماله ماصار به من العلماء الفقهاء الحكماء، فهو أعرف بحكم الله فيما يفعله من المعترضين عليه.

وإذا تأملت هذين الوصفين اللذين صحا في البخاري عن ابن عباس في حق معاوية علمت أنه لا مساغ لأحد في الإنكار على معاوية فيما اجتهد فيه فظهر له أنه الحق ففعله؛ لأنه كبقية مجتهدي الأمة والمجتهد لا ينكر عليه فيما أداه إليه اجتهاده إلا

أن يخالف الاجماع أوالنص الجلي، كما هو مقرر في الأصول، ومعاوية رضي الله عنه لم يخالف إجماعاً، كيف والإجماع لا ينعقد بدونه؟ وأيضاً فوافقه على ما ذهب إليه جمع من مجتهدي الأمة من الصحابة وغيرهم ولانصاً جلياً كما هو جلي وإلا لم يتبعه ذلك الجمع.

ومما ينبهك على عظيم فقهه ما رواه ابن ماجه: أن معاوية قام خطيباً على منبر النبي ﷺ بالمدينة فقال: يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تقوم الساعة إلا وطائفة من أمتي ظاهرين على الناس لا يبالون من خذلهم ولا من نصرهم**»[(١)]. أي أين علماؤكم أباحثهم عن معنى هذا الحديث، ولا يقول مثل ذلك في ذلك الزمن الغاص بأكابر مجتهدي الأمة من الصحابة ومن بعدهم إلا أفقه الفقهاء وأجل العلماء والمدينة إذ ذاك كانت غاصة بالعلماء من الصحابة والتابعين، فلا يتفوه بذلك منهم إلا من فيه كفاءة لهم.

وما رواه البخاري ومسلم أن معاوية قام خطيباً بالمدينة في قدمة قدمها فخطبهم يوم عاشوراء فقال: أين علماؤكم يا أهل

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٩) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٩٥ و١٩٥٨ و١٩٧١).

المدينة؟ سمعت رسول الله يقول لهذا اليوم يوم عاشوراء: «**لم يكتب عليكم صيامه وأنا صائم فمن أحب منكم أن يصوم فليصم ومن أحب منكم أن يفطر فليفطر**»[١]، قال النووي رحمه الله تعالى: قول معاوية هذا ظاهر في أنه سمع من يوجب صوم يوم عاشوراء أو يحرمه أو يكرهه فأراد معاوية إعلامهم بأنه ليس بواجب ولا حرام ولا مكروه، وخطب به في ذلك المجمع العظيم ولم ينكر أحد منهم عليه، فظهر بذلك عظيم فقهه وقوة اجتهاده، بل وبلوغه فيه مرتبة علية جداً[٢]، كيف وقد بالغ في التعريض بالمخالفين له ليناظروه في صوم يوم عاشوراء فسكتوا ولم يقدر منهم أحد على مناظرته سراً ولا جهراً، لا يقال إنما سكتوا لأنه الخليفة حينئذ فخافوا أن يغلظ عليهم، لأنا نقول: هذا لا يتوهم فيمن قال في حقه ﷺ إنه أحلم الأمة، فمن حاز هذا الوصف الأعظم كيف يخشى أحد من الكلام معه في مسألة علمية طلب هو المباحثة فيها بحضرة أولئك الجمع الكثيرين، وأيضاً من يعلم منه أنه تحمل وهو الخليفة الأعظم من يبصق على وجهه فيمسحه ويقول: طاهر على طاهر، كيف لا يتحمل من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٣) ومسلم (١١٢٩).
(٢) انظر: شرح مسلم للنووي (٨/ ٨).

يبحث معه في مسألة علمية ليعرف الصواب فيها من غيره، وإن حصل منه مما يقع في المباحثة ما حصل؟ كلا لم يسكتوا إلا لعلمهم بأنه الفقيه المجتهد الذي لا يجاري والحبر الذي لا يمارى.

ومما يدل على تحقيقه وعظيم اجتهاده أيضاً ما أخرجه الفاكهي[١] من رواية ابن اسحق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: لما حج معاوية فحججنا معه فلما طاف البيت صلى فنُزع له دلو فأتي به فشرب وصب على وجهه ورأسه وهو يقول: ماء زمزم شفاء وهو لما شرب له. فتأمل كون ابن الزبير عبدالله مع وفور علمه وتقدمه يحتج بأفعال معاوية ويتابعه عليها ثم بأقواله وينقلها عنه، تجد الصحابة رضوان الله عليهم متطابقين على الاعتراف بعلمه واجتهاده وأنه غير منازع في ذلك ولا مدافع، وقد استدل بعض المحققين من أكابر الحفاظ بكلام معاوية هذا على أن ما اشتهر على الألسنة من حديث «ماء زمزم لما شرب له»[٢] له أصل أصيل، وذلك لأن كلام معاوية جاء

---

(١) في «أخبار مكة» (٢/٣٧) تحقيق عبد الملك بن دهيش.

(٢) أخرجه أحمد وابن ماجة وغيرهما، وصححه الألباني في الإرواء (١١٢٣).

بسند حسن وهو مصرح بهذا الحديث فيكون حجة على صحته، إذ الصحابي إذا قال شيئاً لا مجال للإجتهاد فيه يكون في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، فقول معاوية هذا حجة في أن حديث ماء زمزم لما شرب له، وفي رواية لأحمد «لما شرب منه»، حديث حسن.

١٨ - ومنها: أنه ظهر لأبيه وأمه في صغره مخايل نجابته وأنه لا بد أن يسود الناس كلهم ويملكهم، أخرج أبو سعيد المدايني[١] قال: نظر أبو سفيان إلى ولده معاوية وهو غلام فقال: إن ابني هذا لعظيم الرأس وإنه لخليق أن يسود قومه، فقالت أمه هند: قومه فقط؟ ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة.

وأخرج البغوي[٢] عن أبان بن عثمان رضي الله عنهما قال: كان معاوية وهو غلام مع أمه إذ عثر فقالت له: قم لا رفعك الله، فقال لها أعرابي: لم تقولين هذا والله إني لأراه يسود قومه. فقالت: لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه، وكأنها أخذت ذلك من

---

(١) كما في الإصابة (٩/ ٢٣٣).

(٢) كما في الإصابة (٩/ ٢٣٢). وابن عساكر في تاريخه (كما في السير للذهبي ٣/ ١٢١).

أخبار بعض الكهان[١] .

١٩ - ومنها: قول ابن عباس في حقه: ما رأيت للملك أعلى من معاوية رواه البخاري في تاريخه[٢] .

ويوافق ذلك ما ذكره أن عمر لما دخل الشام ورأى معاوية وكثرة جنوده وأبهة ملكه أعجبه ذلك وأعجب به ثم قال: هذا كسرى العرب[٣] ، أي في فخامة الملك وباهر جلالته وعظمة أبهته، فتأمل هذه الشهادة له من عمر مع الرضى بما هو فيه والإعجاب به، وتلك الشهادة له من ابن عباس مع أنه كان من فئة علي كرم الله وجهه والمحاربين معه لمعاوية رضي الله عنهم ومع ذلك لم ينقص معاوية شيئاً من حقه ولا أنقصه، بل بالغ في الثناء عليه وأنه فقيه مجتهد، وهذا مما ينبهك على أن الصحابة رضوان الله عليهم وإن تحاربوا وتقاتلوا باقون على محبة كلٍ للباقين وإبداء عذر الخارجين منهم على بقيتهم، وقد سبق عن علي رضي الله عنه قوله عن قتلى معاوية: إنهم في الجنة، وسيأتي عنه

---

(١) لأنها لم تكن أسلمت بعدُ، أما بعد الإسلام فلا يجوز الذهاب إلى الكهان أو تصديقهم.

(٢) كما في الإصابة (٩/ ٢٣٣).

(٣) كما في الإصابة (٩/ ٢٣٣).

أنه قال: إخواننا بغوا علينا. وقال في حق طلحة وقد حاربه حرباً شديداً: أنا وهو كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾[(١)]، وبعد أن أحاط خبرك هذا كله من علي لم يبق لك عذر بوجه في الاعتراض على أحد من الصحابة فيما وقع منه مع البقية، فتنبه لذلك ونبه الناس عليه فإنه لا أنفع في المعترضين من كلام علي هذا.

٢٠ ـ ومنها: ما جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحداً منهم فثقة[(٢)] أنه قال: ما رأيت أحداً بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من أميركم هذا، يعني معاوية، فتأمل شهادة هذا الصحابي الجليل بهذه المنقبة العظيمة لمعاوية رضي الله عنه وأنها تدل على عظيم فقهه واحتياطه وتحريه لما كان عليه ﷺ لاسيما في الصلاة التي هي أفضل العبادات البدنية وأقرب الوصلات الرحمانية.

٢١ ـ ومنها: ما جاء بسند فيه متروك أنه لما وصل رابغاً متوجهاً لمكة من الشام اطلع في بئر عادية فأصابته لقوة فاستتر

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٤٧.

(٢) كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٦٠) والراوي الثقة هو: قيس بن الحارث المذحجي.

إلى أن دخل مكة فجاءه الناس فلف رأسه وشق وجهه بعمامة ثم خرج فخطب وقال من خطبته: إن أعافى فقد عوفي الصالحون قبلي، وإني لأرجو أن أكون منهم وإن ابتليت فقد ابتلي الصالحون قبلي وما أيأس أن أكون منهم، وإن كان مرض مني عضو فما أحصي صحيحي، وإن كان وجد ـ أي غضب ـ مني بعض خاصتكم فقد كنت وصولاً لعامتكم فما لي أن أتمنى على الله أكثر مما أعطاني، فرحم الله رجلاً دعا لي بالعافية. فارتجت الأصوات بالدعاء له فاستبكى وبكى فقال له مروان: ما يبكيك؟ قال: ما كنت عنه عزوباً، كبرت سني ورق عظمي وكثرت الدموع في عيني ورميت في أحسن ما يبدو مني، ولولا هواي في يزيد أبصرت قصدي[1] فتأمل هذا الكلام البليغ منه على ما عنده من العلم والمعرفة لا سيما قوله أولاً: وإني لأرجوه. ثانياً: وما أيأس، فإن فرق بين هذين المقامين مبني على غاية الرجاء والخوف وأنهما مستويان عنده كما هو الأصح عندنا في حق الصحيح، وأما المريض فالأولى له تغليب رجائه على خوفه؛ لقوله ﷺ عن ربه في الحديث الصحيح: «أنا عند ظن عبدي بي

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٥٨): «رواه الطبراني وفيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني وهو متروك».

فلا يظن بي إلا خيراً»[١] وفي رواية: «لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن ظنه بربه»[٢] أي يظن أنه يغفر له ويرحمه.

وتأمل قوله: وإن كان مرض مني عضو.. إلى آخره، تجده أصلاً عظيماً في الرضا بالقضاء بل وفي الشكر؛ لأن الإنسان إذا نزل به مرض في عضو من أعضائه فينبغي له الرضا بذلك والشكر لربه به، لأنه وإن ابتلاه بلية واحدة فليرض بهذه البلية ويشكر على تلك النعم ليكون من جملة الراضين الشاكرين، الذين هم أفضل العارفين، وأعلم العلماء.

وقوله: وجد مني بعض خاصتكم.. إلى آخره: تجده غاية في التسليم والتسلي، أي إن فرض أن بعض خاصتكم غضب علي فلا يؤثر غضبه في لأنه إن كان عن غير موجب فظاهر أو عن موجب فينبغي أن أسامح في ذلك لأني تكررت مني الصلات الكثيرة لعامتكم فلتكن هذه بتلك.

وقوله: فمالي أن أتمنى.. الخ فيه الاعتراف بتوالي نعم الله عليه وأنه قانع بما وصل إليه من النعم، ساكت عن تمني أكثر من ذلك، فإنه قد يكون للنفس فيه حظاً وكل مالها فيه حظ ولو

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) أخرجه مسلم.

بالقوة ينبغي تركه والإعراض عنه .

قوله: فرحم الله . . الخ فيه غاية التواضع وإظهار الافتقار والاحتياج إلى دعاء الرعية وأنه واحد من جملتهم محتاج إليهم .

وقوله: كبرت سني . . . الخ فيه إظهار الافتقار إلى الله تعالى وأنه بعد أن وصل إلى هذه الأمور وصار ضعيفاً عاجزاً لا قوة له على الملك وما يحتاج إليه إلا بمعونة عظيمة من ربه .

وقوله: ولولا هواي . . . الخ فيه غاية التسجيل على نفسه بأن مزيد محبته ليزيد أعمت عليه طريق الهدى وأوقعت الناس بعده في الردى، لكنه قضاء انحتم، وقد انبرم، فسلب عقله الكامل، وعلمه الشامل، ودهاءه الذي كان يضرب به المثل، وزين له من يزيد حسن العمل وعدم الانحراف والخلل، كل ذلك لما أشار إليه الصادق المصدوق ﷺ من أنه إذا أراد الله انفاذ أمره سلب ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ ما أراده تعالى، فمعاوية معذور فيما وقع منه ليزيد لأنه لم يثبت عنده نقص فيه . بل كان يزيد يدس على أبيه من يحسن له حاله حتى اعتقد أنه أولى من أبناء بقية أولاد الصحابة كلهم فقدمه عليهم مصرحاً بتلك الأولوية التي تخيلها ممن سلط عليه ليحسنها له، واختياره للناس على ذلك إنما هو لظن أنهم إنما كرهوا توليته لغير فسقه

من حسد أو نحوه، ولو ثبت عنده أدنى ذرة مما يقتضي فسقه بل وإثمه لم يقع منه ما وقع، وكل ذلك دلت عليه هذه الكلمة الجامعة المانعة وهي قوله: ولولا هواي في يزيد أبصرت قصدي، فتأمل ذلك لتحيط منه بما ذكرته، وفتحت لك باب ما بقي في كلامه من الإشارات والاعتبارات، والله سبحانه الهادي إلى سواء السبيل ونسأله أن لا يزين لنا ما يكون سببا للإنحراف عن سنن البرهان والدليل.

٢٢ ـ ومنها: أنه حاز شرف الأخذ عن أكابر الصحابة والتابعين له، وشرف أخذ كثيرين من أجلاء الصحابة والتابعين عنه، وذلك أنه روى عن أبي بكر وعمر وأخته أم المؤمنين أم حبيبة، وروى عنه من أجلاء الصحابة وفقهائهم، عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وجرير البجلي ومعاوية بن خديج والسائب بن يزيد والنعمان بن بشير وأبو سعيد الخدري وأبو أمامة بن سهل، ومن كبار التابعين وفقهائهم عبدالله بن الحارث بن نوفل وقيس بن أبي حازم وسعيد بن المسيب وأبو إدريس الخولاني، وممن بعدهم عيسى بن طلحة ومحمد بن جبير بن مطعم وحميد بن عبدالرحمن بن عوف وأبو مجلز وحمران مولى عثمان، وعبدالله بن محيريز، وعلقمة بن أبي وقاص وعمير بن هانيء وهمام بن منبه وأبو العريان النخعي

ومطرف بن عبدالله بن الشخير وآخرون، فتأمل هؤلاء أئمة الإسلام الذين رووا عنه تعلم أنه كان مجتهداً أي مجتهد وفقيهاً أي فقيه.

(تنبيه) عن شيخ الإسلام والحفاظ: من جملة من روى عنه من أكابر التابعين وفقهائهم مروان بن الحكم، وقد يشكل على ذلك ما جاء عنه في ايذائه الشديد لأهل البيت وسبه لعلي كرم الله وجهه على منبر المدينة في كل جمعة، وقوله للحسن والحسين: أنتم أهل بيت مهونون ونحو ذلك مما يأتي عنه. وجوابه أنه لم يصح عنه شيء من ذلك، وأن كل مافيه نحو ذلك في سنده علة ولهذا روى له البخاري وغيره ولم يخرجه المحدثون، ولو صح عنه شيء من ذلك لنقله الحفاظ وتكلموا عليه، وبتسليم أنه قال ذلك فغايته أنه مبتدع والمبتدع غير الداعية تقبل روايته، وقد روى البخاري في صحيحه عن جماعة مبتدعين ولم يؤثر ذلك فيه[١].

٢٣ ـ ومنها: أنه أخبر عن أمور مغيبة فوقع الأمر بعده كما

---

(١) ومروان بن الحكم لم تثبت له صحبة، فقد توفي ﷺ وهو ـ أي مروان ـ ابن ثمان سنين، وكان بالطائف مع أبيه الحكم الذي نفاه ﷺ. انظر: «الاستيعاب» (١٠/ ٧٠ مع الإصابة) و«الإصابة» لابن حجر (٩/ ٣١٨).

أخبره، وذلك كرامة.

فمن ذلك: ما جاء عنه بسند رجاله ثقات أنه قال: إن أهل مكة أخرجوا رسول الله ﷺ فلا تكون الخلافة فيهم أبداً، وأن أهل المدينة قتلوا عثمان فلا تعود الخلافة فيهم أبداً[١]. فتأمل هذا الحكم منه رضي الله عنه على أهل مكة بأنهم جوزوا على مافعلوه من إخراج رسول الله من بينهم، بأن محلهم لا تكون فيه الخلافة أبداً فوقع الأمر كما أخبر. ولا يرد عليه خلافة ابن الزبير فإنها كانت بمكة، لأنها لم تتم، إذ الشام ومصر وغيرهما كانت كلها خارجة عن ولايته، وأيضاً فكان منازعاً فيها من أولها إلى آخرها، فلم يصف له يوم من الدهر.

وعلى أهل المدينة، أي من كان فيها حين قتل عثمان، بأن الخلافة لا تعود إليهم، أي لا تعود إلى المدينة فلا تكون مستقراً للخلافة أبداً مجازاة لهم بما فعلوه بعثمان رضي الله عنه، فوقع الأمر هنا أيضاً كما أخبر معاوية، بل هنا لم يقع صورة خلافة ولا ادعاؤها بخلاف مكة، فإنها وقع فيها نوع من صورة الخلافة ولا عبرة بها؛ لأنها لم تسم خلافة على الإطلاق، فعلم بر معاوية فيما قاله وأن الأمر وقع بعد كما أخبر، وهذا كرامة جليلة لمعاوية رضي الله عنه.

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٢٩٩) وفي الآحاد والمثاني (٥٠٥).

٢٤ ـ ومنها: ما جاء بسند في رجاله خلاف أن ابن عمر قال: ما رأيت أحداً من الناس بعد رسول الله ﷺ أسود[١] من معاوية[٢]، وهذه شهادة من هذا الإمام الجليل بأن معاوية بلغ من السؤدد والسيادة غايتها، وأنه جمع صفات الكمال، لتوقف ذلك عليها وهي الحلم والعلم والكرم وكان معاوية بالغا في كل من هذه الثلاثة مبلغاً عظيماً.

٢٥ ـ ومنها: ما جاء عن الأعمش بسند فيه ضعف أنه قال: لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي[٣]، والأعمش من أجلاء التابعين وعلمائهم، فشهادته بذلك لمعاوية تستدعي مدحاً علياً لمعاوية وثناء جليلاً عليه وإخباراً بأنه كان ماشياً في جميع أموره على الحق المزيد بحسب ما أداه إليه اجتهاده، وأنه عم الناس بره ونواله. كما أن المهدي كذلك في جميع هذه الأمور.

٢٦ ـ ومنها: ما جاء بسند رجاله ثقات أنه خطب يوم جمعة

---

(١) من السيادة.
(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٦٠): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفي رجاله خلاف» وأخرجه الخلال في السنة (١/ ٤٤٣).
(٣) أخرجه الخلال في السنة (١/ ٤٣٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٦٠): «رواه الطبراني مرسلاً، وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف».

فقال: إنما المال مالنا والفيئ فيئنا فمن شئنا منعناه، فلم يجبه أحد. ثم خطب يوم الجمعة الثانية فقال ذلك فلم يجبه أحد أيضاً، ففعل في الثالثة كذلك فقام إليه رجل فقال: كلا إنما المال مالنا والفيئ فيئنا، فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله تعالى بأسيافنا، فمضى في خطبته ثم لما وصل منزله أرسل للرجل، فقالوا هلك، ثم دخلوا فوجدوه جالساً معه على سريره، فقال لهم: إن هذا أحياني أحياه الله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون من بعدي أمراء يقولون فلايرد عليهم، يتقاحمون في النار كما تتقاحم القردة**» وإني تكلمت أول جمعة فلم يرد علي أحد فخشيت أن أكون منهم، ثم في الجمعة الثانية فلم يرد علي أحد فقلت: إني منهم، ثم تكلمت في الجمعة الثالثة فقام هذا الرجل فرد علي فأحياني، أحياه الله تعالى[1].

فتأمل هذه المنقبة الجليلة التي انفرد بها معاوية إذ لم يرد عن أحد مثلها، فإنك إن أخلصت قصدك وتحقق توفيقك حملك على أنك تعتقد كماله، وترضى عنه، وتعلم أنه كان حريصاً على

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٣٩): «رواه الطبراني في الكبير، والأوسط وأبو يعلى ورجاله ثقات» وقال محقق مسند أبي يعلى (١٣/ ٣٧٤): إسناده صحيح إن كان أبو قبيل حُيَي بن هانئ سمعه من معاوية، فإن امكانية السماع منه متوفرة.

العمل لما سمعه من رسول الله ﷺ ما أمكنه، وأنه كان من الخائفين على نفسه أن توجد منه أدنى فرطة فحماه الله وآمنه رضي الله عنه.

٢٧ ـ ومنها: أنه روى عن النبي ﷺ مائة حديث وثلاثة وستين حديثاً اتفق البخاري ومسلم منها على أربعة وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة[(١)].

٢٨ ـ ومنها: أنه لما حضرته الوفاة أوصى أنْ يكفن في قميص كان رسول الله ﷺ كساه إياه وأن يجعل مما يلي جسده، وكانت عنده قلامة أظفار رسول الله ﷺ فأوصى أن تسحق وتجعل في عينيه وفمه. وقال: افعلوا ذلك بي وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين[(٢)]. ولما نزل به الموت قال: ياليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى وإني لم أَلِ من الأمر شيئاً. وهذا شأن الكُمَّل رضي الله عنهم. فهنيئاً له أنْ يَسَّر له مماسة جسده لما مسه جسد رسول الله ﷺ. واختلاط باطن فمه وعينيه بما انفصل من بدن النبي ﷺ، واتفقوا على أنه توفي بدمشق، والمشهور أنّ وفاته

---

(١) كما في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣/ ١٦٢) وقال: «عمل الأهوازي مسنده في مجلد».

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٦٠).

كانت لأربع خلون من رجب سنة ستين من الهجرة النبوية وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل ثمان وسبعين سنة، وقيل ست وثمانين سنة.

* * *

الفصل الثالث
في الجواب عن أمور طعن عليه بعضهم بها

وبعضها قابل لأن يطعن بها عليه من لم يحط بما ذكرناه أو سنذكره. وقد علمت أجوبتها بما قدمته لكنها هنا موضحة مبسوطة مشتملة على زيادات لم تسبق.

الأول: روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يلعب مع الصبيان فجاء له النبي ﷺ فهرب وتوارى منه، فجاء له وضربه ضربة بين كتفيه ثم قال: «**اذهب فادع لي معاوية**» قال: فجئت فقلت: هو يأكل. ثم قال: «**اذهب فادع لي معاوية**» قال فجئت فقلت: هو يأكل؛ فقال: «**لا أشبع الله بطنه**»[1]، ولا نقص على معاوية في هذا الحديث أصلا، أما الأول فلأنه ليس فيه أن ابن عباس قال لمعاوية: رسول الله ﷺ يدعوك فتباطأ، وإنما يحتمل أن ابن عباس لما رآه يأكل استحيى أن يدعوه فجاء وأخبر النبي ﷺ بأنه يأكل، وكذا في المرة الثانية، وحينئذ فسبب الدعاء بفرض أن يراد به حقيقته، أن طول زمن الأكل يدل على

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٤).

الاستكثار منه وهو مذموم، على أن ذلك ليس فيه الدعاء عليه بنقص ديني وإنما هو الدعاء عليه بكثرة الأكل لا غير. وهي إنما تستدعي المشقة والتعب في الدنيا دون الآخرة. وكل من لم يضره نقص أخروي لا ينافي الكمال.

وأما ثانياً: فبفرض أن ابن عباس أخبر معاوية بطلب النبي ﷺ، يحتمل أنه ظن في الأمر سعة وأن هذا الأمر ليس فورياً، على أن الأصح عند الأصوليين والفقهاء أن الأمر لا يقتضي الفورية إلا أمره ﷺ لأحد بشيء، كأن دعاه إليه فإنه تجب إجابته فوراً وإن كان في صلاة الفرض، وكأن معاوية لم يستحضر هذا الاستثناء أو لا يقول به. وحينئذ فهو معذور.

وأما ثالثاً: فيحتمل أن هذا الدعاء جرى على لسانه ﷺ من غير قصد، كما قال لبعض أصحابه: «**تربت يمينك**»[(١)]، ولبعض أمهات المؤمنين: «**عقرى حلقى**»[(٢)] ونحو ذلك من الألفاظ التي كانت تجري على ألسنتهم بطريق العادة من غير أن يقصدوا معانيها.

وأما رابعاً: فأشار مسلم في صحيحه إلى أن معاوية لم

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٦١) ومسلم (١٢١١).

يكن مستحقاً لهذا الدعاء، وذلك لأنه أدخل هذا الحديث في باب من سبة النبي ﷺ أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجراً ورحمة، وما أشار إليه ظاهر لما قدمته، أنه يحتمل أن معاوية لم يخبر بطلب النبي ﷺ له، أو أنه أخبر ولكنه ظن أن في الأمر سعة. أو كان معتقداً أنه لا يجب الفور كما هو رأي جماعة من أئمة الأصول، وعند هذه الاحتمالات اللائقة بكمال معاوية وفقهه ومكانته، يتعين أن يكون هذا الدعاء عليه وهو ليس له بأهل فيكون له زكاة وأجراً ورحمة، كما قال ﷺ **«اللهم إني أغضب كما يغضب البشر، فمن سببته أو لعنته أو دعوت عليه وليس هو أهلاً لذلك فاجعل اللهم ذلك له زكاة وأجراً ورحمة»**[١].

وأما خامساً: فهو نتيجة ما قررته في الرابع، فهو أن هذا الحديث من مناقب معاوية الجليلة لأنه بان بما قررته أنه دعاء لمعاوية لا عليه، وبه صرح الإمام النووي[٢].

الثاني: زعم بعض الملحدة الكذبة الجهلة الأغبياء الأشقياء إخوان الضلالة والعناد والبهتان والفساد، أن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٠).

(٢) في شرحه لصحيح مسلم (١٦/ ١٥٦).

قال: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»، وأن الذهبي صحح هذا الحديث، وليس الأمر كما زعم، بل ضل وافترى ولم يصححه الذهبي. إنما ذكره في تاريخه ثم بين أنه كذب موضوع لا أصل له[(١)]، على أنه يلزم على فرض ذلك نقيصة سائر الصحابة إن بلغهم ذلك الحديث، أو نقيصة من بلغه منهم وكتمه، لأن مثل هذا يجب تبليغه للأمة حتى يعملوا به، على أنه لو كتمه لم يبلغ التابعين حتى نقلوه لمن بعدهم وهكذا، فلم يبق إلا القسم الأول وهو أن يبلغهم فلا يعملون به، وهو لا يتصور شرعاً إذ لو جاز عليهم ذلك جاز عليهم كتم بعض القرآن أو رفض العمل به وكل ذلك محال شرعاً، لا سيما مع قوله ﷺ: «تركتكم على الواضحة البيضاء..»: الحديث[(٢)].

ومما يصرح بل يقطع بكذب ناقل هذا الحديث تولية عمر له دمشق الشام مدة ولايته، وثناؤه وثناء من مر من الصحابة عليه

---

(١) حيث قال في «تاريخه» (حوادث ٤١هـ - ٦٠هـ) (ص٣١٣) بعد ذلك الحديث: «مجالد ضعيف، وقد رواه الناس عن علي بن زيد بن جدعان وليس بالقوي». والحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٤) وقال بعد ذكر طرقه: «هذا حديث موضوع لا يصح عن رسول الله ﷺ».

(٢) حديث صحيح، انظر تخريجه في «ظلال الجنة» للألباني (ص٢٦).

حتى علي رضي الله عنهم، وأخذهم العلم عنه.

ومما يقطع بمثل كذبه أيضاً، أن مثل هذا الحديث مما تتوفر الدواعي على نقله وإظهاره، لا سيما عند وقوع تلك الحروب والفتن، وكونه حارب الخليفة الحق الذي معه أكثر الصحابة وقاتله، بل بعد موت علي سعى مع الحسن الذي هو الخليفة أيضاً بإجماع أهل الحل والعقد عليه حتى نزل له عن الخلافة أيضاً باجماع. فسمي يومئذ بأنه الخليفة الحق، ووافقه كل الصحابة على ذلك، ولم يطعن أحد من أعدائه فضلاً عن أصدقائه بقدح في خلافته بشيء مطلقاً، بل كلهم اتفقوا وأجمعوا على أنه الخليفة الحق حينئذ، فهل بقي مع هذا كله ـ فضلاً عن بعضه ـ تردد في كذب هذا الحديث، ووجوب الإعراض عنه، وأنه لا يحل روايته إلا لتبيين أمره وإظهار كذب ناقله؟ وأنهم كالأنعام بل هم أضل، إذ لا يروج أن هذا حديث إلا على أحمق عدم حسه وحقق الله خذلانه وأظهر على رؤوس الخلائق كذبه وتعسه، فتفطن لذلك فإن بعض ذاكريه ممن يدعي علماً جما، ويعير من يبرهن على بطلانه أذناً صما، تحقيقاً لعناده وترويجاً لفساده، فقبحه الله وخذله وأخمله وأخبله، إنه الجواد الكريم الرؤوف الرحيم.

وتأمل حديث: «**عمار تقتله الفئة الباغية**»[١] تجد لما كان له أصل اتفق على روايته كل الصحابة، ثم استدل به علي وأتباعه على أن معاوية باغ خارج على الإمام الحق، وأوله معاوية وأتباعه بما ليس بقطعي البطلان مما يقتضي عذرهم، فلو كان هذا الحديث له أصل لوقع الاحتجاج به أو الجواب عنه، ولو من واحد منهم.

الثالث: في الحديث المروي بسند حسن أنه ﷺ قال: «**شر قبائل العرب بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف**»[٢]، وفي الحديث الصحيح قال الحاكم على شرط الشيخين عن أبي برزة رضي الله عنه: كان أبغض الأحياء أو الناس إلى رسول الله ﷺ بنو أمية[٣] ومعاوية من بني أمية، فهو من من الأشرار ومُضر كانوا أبغض

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٥): «رواه أبو يعلى وفيه محمد بن الحسن بن زبالة وهو ضعيف».

(٣) المستدرك (٤/ ٤٨٠). ونقل الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٤) أن أبا يعلى والطبراني قد روياه. قال: «ورجالهم رجال الصحيح غير عبدالله بن مطرف بن الشخير وهو ثقة» وهو في مسند أبي يعلى المطبوع (١٣/ ٤١٧) وحسَّن إسناده المحقق وأفاد أن أحمد قد أخرجه بنفس الإسناد (٤/ ٤٢٠).

الناس إلى رسول الله ﷺ، فلا أهلية فيه لإمارة ولا لخلافة.

وجوابه: أن هذا الاستنتاج أعني قول المعترض: فهو... الخ دليل على جهل مستنتجه وأنه لا دراية له بمبادىء العلوم، فضلاً عن غوامضها، لأنه يلزم على هذه النتيجة لو سُلِّمت أن عثمان وعمر بن عبدالعزيز كليهما لا أهلية فيهما للخلافة، وأنهما من الأشرار، وذلك خرق لإجماع المسلمين، وإلحاد في الدين. وإنما المراد من الحديث أن أكثر بني أمية موصوف بالشرية والأبغضية، فلا ينافي أن أقلهم ليسوا أشراراً ولا مبغوضين، بل هم من خيار الأمة وأكبر الأئمة، كيف وعثمان قد أجمعوا على صحة خلافته وكذا عمر بن عبدالعزيز، وكذا معاوية بعد نزول الحسن له، وقد صح فيه من الأحاديث السابقة ما أوجب كالإجماع خروجه عن ذلك العموم، وسيأتي أننا فرقنا بينه وبين ولده وأعطينا كلاً ما يستحقه لأنا متعبدون بالأدلة من غير عصبية ولا علة، ولو كان الأمر بالتعصب والمحاباة لما خالفنا معاوية في ولده الذي قال فيه: ولولا هواي فيه لرأيت قصدي أي لهديت إلى أوسط الأمور وأعدلها من استخلاف غيره، فبطلت تلك النتيجة وبان أن قائلها جاهل أو معاند، فلا يُرْفع إليه رأس ولا يُقَال له وزن ولا يُعْبأ بما يلقيه ولا يعتد بما يبديه؛ لقصور فهمه وتحقق كذبه، ووهمه، وسيأتي

آخر الكتاب أنه ﷺ، لعن الحكم وما يخرج من صلبه، ووصفهم بأنهم ذو مكر وخديعة. ثم حدث ذلك كله إلا الصالحين منهم، وقليل ماهم، فهذا صريح فيما قلناه أن المراد ببني أمية من ذينك الحديثين أكثرهم، فتأمله ولا تغفل عنه لتنجو من سفاسف الملحدين وشقائق المعاندين[١].

(تنبيه) صرح أئمتنا وغيرهم في الأصول، بأنه يجب الإمساك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، فلا يشكل ذلك على ما قدمته كما هو واضح من تفرق الخلف والسلف، وذكرهم جميع ما وقع بينهم وبيان ما صح بينهم، وما لم يصح، والكلام على معاني ما وقع لهم في فتنهم وحروبهم مما ظواهره مشكلة، واستنباطهم أحكام البغاة وغيره مما وقع بينهم، وقد مر عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: أخذت أحكام البغاة وغيرهم من مقاتلة علي لأهل الجمل وصفين وللخوارج؛ وكذا غير

---

(١) قلت: ما كان أغنى المصنف عن هذا الجواب لأن الحديث الذي احتجوا به ضعيف جداً كما سبق، وأما قول أبي برزة رضي الله عنه فهو ظنٌ منه لكثرة ما رأى من معاداة كثيرٍ منهم ـ أي بني حنيفة وثقيف وبني أمية ـ لرسول الله ﷺ في فترة ما، وهو واضح لمن طالع السيرة، وليس منهم صحابة رسول الله ﷺ الذين أسلموا، كأبي سفيان وابنه معاوية ـ رضي الله عنهما ـ.

الشافعي رضي الله عنهم، وقد ذكر أئمتنا من الأصوليين وغيرهم شبه المبتدعة التي أخذوها تارة عن كذبهم على علي وأصحابه، وتارة عن بقية الصحابة، ثم ردوها عن آخرها، حتى لم يبق لهم شبهة يستندون إليها ولا حجة يعتمدون عليها، وبين أئمتنا المحدثون أن كثيراً مما نقل عنهم، إما كذب وإما في سنده علة أو علل، كما أشرت إلى كثير من ذلك في هذا الكتاب بقولي رجاله ثقات أو رجال الصحيح أو فيهم ضعيف أو مجهول أو إرسال أو وقف، أو نحو ذلك مما رأيته وسترى بقيته، إنما المراد أنه لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً مما وقع بينهم يستدل به على نقص بعض من وقع له ذلك والطعن في ولايته الصحيحة، أو ليغري العوام على سبهم وثلبهم ونحو ذلك من المفاسد، ولم يقع ذلك إلا للمبتدعة وبعض جهلة النقلة الذين ينقلون كل ما رأوه ويتركونه على ظاهره، غير طاعنين في سنده، ولا مشيرين لتأويله، وهذا شديد التحريم. لما فيه من الفساد العظيم؛ وهو إغراء العامة ومن في حكمهم على تنقص أصحاب رسول الله ﷺ الذين لم يقم الدين إلا بنقلهم إلينا كتاب الله وما سمعوه وشاهدوه من نبيه من سنته الغراء الواضحة البيضاء، وما بينوه لنا من الأحكام التي لا يحيط بها سواهم، لتميزهم بالبرهان والعيان، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وجزاهم عن الإسلام

والمسلمين خير جزاء.

وبالجملة: أما ذكره لبيان الحق فيه على مقتضى الواقع بحسب ما قضت به الأدلة وإجرائه على قواعد أهل السنة فهو من آكد الواجبات، وأجل الطلبات، لأنه يعلم به نزاهتهم وبراءتهم، كيف وكلهم على هدى من ربهم؟ لأن ما صدر منهم لم يكن إلا عن اجتهاد، وقد بين الصادق ﷺ أن من اجتهد وأصاب فله أجران وفي رواية فله عشرة أجور ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد، فمخطئهم كمصيبهم في أصل الثواب وتحري الصواب، لأن تأويل المؤولين منهم غير قطعي البطلان بل ربما كان واضح البرهان، ولهذا أوجب الله ورسوله على الكافة المبالغة في تعظيمهم وإجلالهم والثناء عليهم ومعرفة آثارهم الحميدة في الإسلام وإعطاء كل منهم ما تقتضيه مرتبته وتشهد به خصوصيته ويقضي به على غيره منقبته، مما بينه مشرفهم بأقواله فيهم وأفعاله معهم إذ لا يحيط بمراتبهم كغيرهم على ما هي عليه عند الله أحد سواه. لما أن ذلك من العلوم التي أتحف بها أمته إلى يوم تلقاه، فعليك باتباع ما قررناه واعتقاد ما حررناه، فإن فيه إدحاضاً للمبتدعين وإخماداً للمعاندين وتعليماً للجاهلين وإرشاداً للمتعلمين.

(تنبيه): إن قلت: جاء أن علياً كرم الله وجهه قال: يؤتى بي وبمعاوية يوم القيامة فنختصم عند ذي العرش، فأينا أفلح أفلح أصحابه[١]، وهذا ينافي ما تقرر من أن كلا منهما مأجور لا إثم عليه ولا ذنب.

قلت: لا ينافيه، أما أولاً: فلأن سنده منقطع، فلا حجة فيه.

وأما ثانياً: فالمراد بفرض صحة ذلك عن علي: فأينا بان أن ما فعله هو الحق في نفس الأمر أفلح أصحابه، أي ضوعفت أجورهم، وإطلاق الفلاح على تضاعف الأجور شائع سائغ.

الرابع: في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية»[٢] فقاتل عسكر معاوية حتى قتلوه، فهذا إخبار من الصادق المصدوق ﷺ أن معاوية باغ على علي، وأن علياً هو الخليفة الحق، وجوابه أن غاية ما يدل عليه هذا الحديث، أن معاوية وأصحابه بغاة، وقد مر أن ذلك لا نقص فيه وأنهم مع ذلك مأجورون غير مأزورين بنص قوله عليه الصلاة

(١) أخرجه الحارث في مسنده وابن عساكر في تاريخه كما في: «كنز العمال» (٣١٧١٤) بسند منقطع كما قال المؤلف.

(٢) سبق تخريجه.

والسلام إن المجتهد إذا اجتهد وأخطأ فله أجر، ومر مستوفى مبسوطاً أنْ معاوية مجتهد أي مجتهد، وقد أول هذا الحديث بما لا يقطع ببطلانه كما هو شرط الباغي الذي لا يفسق ولا يؤثم، وقد جاء تأويله من طرق كثيرة.

منها ما جاء بسند رجاله ثقات أن علياً كرم الله وجهه يوم صفين كان يدخل عسكرهم فيرجع وقد خضب سيفه دما، ويقول لأصحابه: أعذروني اعذروني، وكان عمار علماً لأصحاب محمد ﷺ، لايسلك وادياً من أودية صفين إلا تبعوه ثم حرض عمار هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وذكر له الحور العين وأن حزبهم الذي هو حزب علي في الجنة مع محمد وحزبه في الرفيق الأعلى، فقاتلا حتى قتلا، فقال: وأي رجل؟ قال: عمار، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم بناء المسجد ونحن نحمل لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين لبنتين، فمر على رسول الله ﷺ فقال له: «**يا أبا اليقظان تحمل لبنتين؟ وأنت ناقه من مرض، أما إنه ستقتلك الفئة الباغية وأنت من أهل الجنة**»؟ فقال عمرو: نعم، ثم قال عمرو ذلك لمعاوية، فقال له: اسكت. أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاءوا به فألقوه بين رماحنا فصار من عسكر معاوية، إنما قتل عماراً من جاء به، وفي رواية عند أحمد وغيره أنه ﷺ جعل ينفض التراب عن عمار ويقول له: «**تحمل لبنتين وأنت**

ناقه، **أما إنه ستقتلك الفئة الباغية»** وجاء أيضاً بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحداً فثقة أنه لما قتل عمار قيل لعمرو الحديث فذكره لمعاوية فقال له: دحضت من قولك، إنما قتله علي وأصحابه جاء وابه، حين قتلوه فألقوه بين رماحنا، أو قال بين سيوفنا[١].

وبسند فيه لين أن خزيمة بن ثابت لم يزل كافاً سلاحه حتى قتل عمار بصفين فسل سيفه وذكر الحديث، ثم قاتل عسكر معاوية حتى قتل[٢].

وبسند رجاله رجال الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لم آس على شيء إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي رضي الله عنه[٣].

وبسند رجاله ثقات أن عماراً حلف أن قوم معاوية لو قاتلوا

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٤): «رواه الطبراني وأحمد باختصار وأبو يعلى بنحو الطبراني... ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات».
(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٥): «رواه أحمد والطبراني وفيه أبو معشر وهو لين».
(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٥): «رواه الطبراني بأسانيد، وأحدها رجاله رجال الصحيح».

قوم علي حتى بلغوا بهم سعفات هجر لما شكوا أن علياً إمامهم على الحق وضده على الباطل[١].

وبسند رجاله رجال الصحيح أن عماراً يوم صفين طلب شربة من لبن وأخبر أنه ﷺ أخبره أن آخر شربة من الدنيا يشربها شربة لبن فأتي بها فشربها، ثم تقدم فقتل، ولما نظر راية معاوية قال: قاتلت صاحب هذه الراية مع رسول الله ﷺ، أي قبل إسلامه[٢].

وبسند رجاله ثقات أن رجلين اختصما في قتل عمار عند معاوية لأجل سلبه، وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهما حاضر فقال عبدالله لهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقتله الفئة الباغية**»، فأنكر كل منهما أنه قتله، فقال له معاوية: فما بالك معنا؟ فقال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «**أطع أباك ما دام حياً ولا تعصه**» فأنا معكم ولست أقاتل[٣]، وفي رواية سندها صحيح أن معاوية قال لعمرو: ألا تكف عنا مجنونك فما

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٤٦): «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبدالله بن سلمة وهو ثقة».

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٤٦): «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير أنه منقطع».

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٤٧): «رواه أحمد ورجاله ثقات».

له معنا، فقال عبد الله ما ذكر[١].

وبسند رجاله ثقات أن رجلين اختصما عند عمرو فروى لهما الحديث، فقيل له: كيف تقاتل علياً؟ فقال: إنما قال النبي ﷺ: «**قاتله وسالبه في النار**»[٢].

وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحداً فإنه سيء الحفظ وقد يحسن حديثه: أن علياً كرم الله وجهه أكثر يوم صفين من ذكر الله سبحانه وتعالى، وصدق الله ورسوله، فسئل أعهد إليك رسول الله ﷺ شيئاً في ذلك، فأعرض فألح عليه فحلف بالله: لم يعهد إليه إلا ما عهده للناس، قال ولكن الناس قد وقعوا في عثمان، فكان غيري فيه أسوأ حالاً وفعلاً مني، ثم رأيت أني أحقهم لهذا الأمر فوثبت عليه فالله أعلم، أصبنا أم أخطأنا[٣]، فتأمل قول علي هذا الذي صح عنه، وهو: فالله أعلم أصبنا أم أخطأنا، مع علمه بحديث عمار: «**تقتله الفئة الباغية**» تجده كرم

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده، كما في «المطالب العالية» (٤/٣٠٦) وصححه البوصيري.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٤٧): «رواه أحمد والطبراني... ورجال أحمد ثقات».

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٤٨): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير علي بن زيد، وهو سيئ الحفظ وقد يُحَسن حديثه».

الله وجهه مصرحاً مع علمه بأن معاوية وعسكره بغاة عليه بجواز وقوع الخطأ منه في وثوبه على ذلك الأمر الذي هو الخلافة، وبأن تأويل معاوية السابق ليس بقطعي البطلان، بل يحتمل أنه الحق وإلا لم يقل علي ذلك.

فإن قلت: قول علي ذلك إنما هو من باب التواضع واعتراف الكامل بما ليس فيه إظهاراً لذلته وافتقاراً لربه.

قلت: قولك إنما هو الخ مجرد دعوى لا دليل عليها، والصواب أن هذا محتمل، كما أن قوله ذلك لتجويز حقيقة تأويل معاوية محتمل أيضاً، فلما أمكنت حقية كل من الاحتمالين ولم يقطع ببطلان أحدهما عذر كل من علي ومعاوية، كما يصرح به قول علي السابق قتلاى وقتلى معاوية في الجنة، لكن لما كان الدليل الظاهر مع علي كان هو الإمام الحق ومعاوية باغياً عليه؛ وإن كان معذوراً، فتأمل هذا المحل واعتن بحفظه وتحقيقه فإن يذهب عنك شكوكاً كثيرة وتخيلات شهيرة أوجبت لكثيرين الخطأ والضلال والانحراف عن جادة الصواب والكمال.

فإن قلت: يقوي تأويل معاوية أنه ﷺ أمر عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بمطاوعة أبيه في كل ما يأمره به مع علمه ﷺ بأن أباه سيكون مع معاوية وأنه سيأمره بالقتال مع معاوية، لأنه ﷺ

أطلعه ربه على ما يقع في أمته بعده وبين له جميع ذلك مما يقع بعده من أصحابه كما دلت عليه الأحاديث، فهذا يقوي ما عليه معاوية كما تقرر.

قلت: نذكر حديث عبدالله ثم نتكلم عليه، وهو أنه ﷺ دخل على أم عبدالله فلم يجده فسألها عنه فأخبرته أنه يصوم فلا يفطر ويسهر ولا ينام ولايأكل اللحم ولا يؤتي أهله حقهم، فأمرها أن تحبسه إذا جاء، ثم خرج ثم رجع وقد جاء فرد عليه ذلك كله بأنه خلاف السنة، وأمره بأن يصوم ويفطر، ويقوم وينام، ويأكل اللحم ويؤتي أهله حقهم ثم قال: «**كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس، قد ضيعت عهودهم ومواثيقهم وكانوا هكذا وخالف بين أصابعه**»؟ قال: فما تأمرني به حينئذ؟ قال: «**تأخذ بما تعرف وتدع ما تنكر وتعمل بخاصة يقينك وتدع الناس وعوام أمورهم**» ثم أخذ بيده وأقبل يمشي به حتى وضع يده في يد أبيه فقال: «**أطع أباك**» فلما كان يوم صفين قال له أبوه: اخرج فقاتل! فقال: يا أبتاه تأمرني أن أخرج فأقاتل وقد سمعت ما سمعت يوم يعهد إلي رسول الله ﷺ ما يعهد، قال: أنشدك بالله ألم يكن آخر ما عهد إليك رسول الله ﷺ أن أخذ بيدك فوضعها في يدي ثم قال: أطع أباك؟ قال بلى، قال: فإني أعزم عليك أن

تخرج فتقاتل مع معاوية، فخرج متقلداً السيف[١] هذا حاصل حديث عبدالله وفي سنده مختلف فيه، فابن حبان وثقة وأبو حاتم وغيره ضعفه ولا شك أن أبا حاتم أحفظ من ابن حبان، بل ابن حبان معروف بالتساهل في التوثيق فضعف الاستدلال بهذا الحديث.

وبتسليمه فطواعية عبدالله لأمر أبيه إنما هو من حيث كون معاوية هو الإمام الحق. غاية ما فيه أنه يدل على أن أمر عمرو لابنه ليس متعدياً به فوجبت طاعته. ووجه عدم تعديه أنه مجتهد وهو عن قضاء اجتهاده بأن معاوية على الحق. وهو الذي دل عليه الحديث، غير ما ادعاه السائل أن أمره ﷺ لعبد الله بمطاوعة أبيه، يشمل مطاوعته له في أمره له بالقتال مع معاوية فيدل ذلك على حقية ما عليه معاوية.

ووجه عدم دلالة الحديث على هذا الأخير ما تقرر، أن الذي دل عليه هذا الحديث أنه يجب على عبد الله مطاوعة أبيه في ما لم يتعد به. وأن أمره له بالخروج مع معاوية لا تعدي منه به.

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٣): «رواه الطبراني من رواية عبد الملك بن قدامة الجمحي عن عمرو بن شعيب، وعبد الملك وثقة ابن معين وغيره، وضعفه أبو حاتم وغيره».

بمقتضى ما دل عليه اجتهاده. ولا دلالة في الحديث لأمر زائد على هذا بوجه من الوجوه، فتأمل.

الخامس: قوله ﷺ في عمار: إنه «يدعوهم إلى الجنة وهم يدعونه إلى النار»[1] وبالضرورة أن الذين دعاهم عمار إلى ذلك، هم فئة معاوية، فحكمه ﷺ بأنهم يدعونه إلى النار، صريح في أنهم على الضلال. وجوابه أن ذلك إنما يتم لو صح الحديث ولم يمكن تأويله، أما إذا لم يصح فلا يستدل به، والأمر كذلك، فإن في سنده ضعيفاً، يسقط الاستدلال به، وتوثيق ابن حبان لا يقاوم تضعيف من عداه له، لا سيما وهو ـ أعني ابن حبان ـ معروف عندهم بالتساهل في التوثيق.

سلمنا صحته: فالداعون له إلى النار، وهو القتال مع معاوية، يُحمل على أخلاط من فيه مع معاوية، وليسوا مجتهدين؛ فقولهم له: اترك علياً وقاتل مع معاوية، غير جائز لهم، فهو نار؛ لأنه يجر إليها، فتأمل!

السادس: خروجه على علي كرم الله وجهه ومحاربته له؛ مع أنه الإمام الحق بإجماع أهل الحل والعقد، والأفضل الأعدل

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧).

الأعلم، بنص الحديث الحسن لكثرة طرقه، خلافاً لمن زعم وضعه ولمن زعم صحته ولمن أطلق حسنه: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**»[(١)] قال الأئمة الحفاظ: لم يرد لأحد من الصحابة رضي الله عنهم من الفضائل والمناقب والمزايا ما ورد لعلي كرم الله وجهه، وسببه أنه رضي الله عنه وكرم وجهه لما استخلف كثرت أعداؤه وساوره المتقولون عليه فأظهروا له معايب ومثالب زوراً وبهتاناً، وإلحاداً وعدواناً، وورث ذلك من تبعهم على ضلالتهم، فلما رأى الحفاظ ذلك نصبوا نفوسهم لبيان الباطل من ذلك، وإظهار ما يرده مما ورد عندهم في حقه، فبادر كل أحد إلى بث جميع ما عنده من فضائله ومناقبه.

والجواب: أن ذلك لا يكون قدحاً في معاوية إلا لو فعله من غير تأويل محتمل، وقد تقرر المرة بعد المرة أنه لتأويل محتمل، بنص كلام علي كرم الله وجهه وأنه من أهل الاجتهاد، وغايته أنه مجتهد مخطىء وهو مأجور غير مأزور، على أن تخصيص معاوية بهذا تحكم غير مرضي، لأنه لم ينفرد به، بل وافقه عليه جماعات من أجلاء الصحابة والتابعين رضي الله

---

(١) الصواب أنه حديث موضوع، كما بين ذلك شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في: «منهاج السنة» (٧/ ٥١٥) والألباني في ضعيف الجامع.

عنهم، كما يعلم من السير والتواريخ، وسبقه إلى مقاتلة علي من هو أجل من معاوية، كعائشة والزبير وطلحة ومن كان معهم من الصحابة فقاتلوا علياً يوم الجمل، حتى قُتل طلحة، وولى الزبير ثم قُتل، وتأويلهم من كون علي منع ورثة عثمان من قتل قاتليه وهو تأويل معاوية بعينه، فكما أن أولئك الصحابة الأجلاء استباحوا قتال علي رضي الله عنه بهذا التأويل فكذلك معاوية رضي الله عنه وأصحابه استباحوا قتاله، يعني بهذا التأويل، ومع استباحتهم لقتال علي اعتذر علي عنهم نظراً لتأويلهم الغير القطعي البطلان، فقال: إخواننا بغوا علينا. أخرجه ابن أبي شيبة بسنده ولفظه: إن علياً كرم الله وجهه سئل يوم الجمل عن أهل الجمل المقاتلين له أمشركون هم؟ فقال: من الشرك فروا. قيل: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا[1] فسماهم إخوانه، فدل على إبقاء إسلامهم بل كمالهم، وأنهم معذورون في مقاتلتهم له، وقد قال علي لطلحة والزبير يوم الجمل: ألا تبايعاني؟ فقالا تطلب دم عثمان؟ فقال: ليس عندي دم عثمان. وروى

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٩٦٠٩) و(١٩٧٨٨) والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٨٢).

عبدالرازق عن الزهري أنه قال: وقعت الفتنة فاجتمعت الصحابة وهم متوافرون وفيهم كثيرون ممن شهد بدراً، على أن كل دم أريق بتأويل القرآن فهو هدر وكل ما أتلف بتأويل القرآن فلا ضمان فيه؛ وكل فرج استحل بتأويل القرآن فلا حد فيه، وما كان موجوداً بعينه يرد على صاحبه(١).

وأخرج ابن أبي شيبة وسعيد بن منصور والبيهقي أن علياً كرم الله وجهه قال لأصحابه يوم الجمل: لا تتبعوا مدبراً ولاتجهزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو آمن؛ وفي رواية أنه أمر مناديه ينادي: لا يتبع مدبر ولا يذفف على جريح ولا يطلق أسير؛ ومن أغلق بابا آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن؛ وفي أخرى: ولا يقتل مقبل إلا إن صال ولم يمكن دفعه إلا بقتله، ولا مدبر، ولا يستحل فرج، ولايفتح باب ولا يستحل مال(٢).

وأخرج ابن منيع والحارث بن أبي أسامة والبزار والحاكم، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البيهقي (٨/ ١٧٤ - ١٧٥) بسند صحيح عن الزهري، وهو لم يدرك وقعة صفين. انظر: «الإرواء» (٢٤٦٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٩٦٢٤) و(١٩٦٣٦) والبيهقي (٨/ ١٨١).

«هل تدري حكم الله فيمن بقي من هذه الأمة»؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال **«لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ولا يكتم فيئها»**[(١)].

وأخرج أحمد والنسائي والطبراني والبيهقي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال للخوارج الحرورية الذين خرجوا على علي لأمور رموه بها، منها أنه يوم الجمل لم يسب ولم يغنم: وأما قولكم إنه قَتَل ولم يسبِ ولم يغنم، أتَسْبُون أمكم؟ أي عائشة فإنها القائمة بوقعة الجمل والداعية إليها، أم تستحلون منها ما يستحل من غيرها؟ لئن فعلتم لقد كفرتم، وإن قلتم ليست أمنا فقد كفرتم، قال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾[(٢)]، وأنتم بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم[(٣)].

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٤٦): «رواه البزار والطبراني في الأوسط وقال: لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد. قلت: وفيه كوثر بن حكيم وهو ضعيف متروك» وانظر: «المطالب العالية» (٤/ ٢٩٦).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٤٤): «رواه الطبراني وأحمد ورجالهما رجال الصحيح».

فتأمل أيها الموفق حكم رسول الله ﷺ على البغاة وحكم علي على مقاتليه وحكم ابن عباس رضي الله عنهما على من ذكر، تعلم أن ذلك كله صريح لا يقبل تأويلاً في إلام أولئك المقاتلين لعلي غير الخوارج، وأنهم باقون على كمالهم، وأنهم معذورون في اجتهادهم الحامل لهم على قتال علي، وأنهم كانوا مخطئين فيه، ولو اقتضى قتالهم هذا إثماً عليهم ونقصا في رتبتهم لعاقبهم علي عليه بعد انقضاء القتال، وليس الأمر كذلك، لم لم يتعرض بعد القتال لأحد من مقاتليه بوجه من الوجوه، بل قابلهم بغاية الحلم والإحسان ونهاية السلم والامتنان.

ومما يصرح بمدح معاوية الحديث الصحيح الآتي في القواعد عن علي في صفة الخوارج، فإن فيه: «تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق»[1] فهذا مثبت لطائفة معاوية قرباً إلى الحق، فإنهم غير ملومين على قتالهم لعلي، وإن كانوا بغاة عليه، نظراً لاجتهادهم وتأويلهم، وذلك صريح في الاعتداد منهم بكل هذين، على أنه يأتي ثَمَّ أن الحسن رضي الله عنه لما نزل لمعاوية رضي الله عنه لم يكن له هم إلا الخورج، فله حظ من قوله:

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٥).

«**تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق**» لكن هذا إنما حصل له بعد قتل علي ونزول الحسن له، ولا شك حينئذ أنه الإمام الحق من غير مدافع ولا مشارك.

وأما تكفير طائفة من الرافضة لكل من قاتله فأولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلاً، فلا يتأهلون لخطاب ولا يوجه إليهم جواب؛ لأنهم معاندون وعن الحق ناكثون، بل أشبهوا كفار قريش في العناد والبهتان، حتى لم تنفع فيهم معجزة ولا قرآن، وإنما النافع لهم القتل والجلاء عن الأوطان، كيف وهم لا يرجعون لدليل، وشفاء العليل منهم كالمستحيل، وقد صح في الأحاديث الكثيرة أنه ﷺ قال بحضرة الجم إظهاراً لمنقبة ولده الحسن رضي الله عنه وعن أهل بيته: «**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»(١) وهما فئة الحسن وأبيه وفئة معاوية، فحكم ﷺ على كل من الفئتين بالإسلام، وذلك صريح في بقائهم أجمعين على كمالهم وأنهم معذورون فيما صدر عنهم وإن كان الإمام الحق هو علي كرم الله وجهه.

وأهل الجمل وصفين استندوا في مقاتلته إلى ماتوهموه من منعه لقتلة عثمان رضي الله عنه، وهو بريء من ذلك حاشاه

---

(١) سبق تخريجه.

الله عنه، ومع ذلك عذرهم لعلمه بأنهم أئمة فقهاء وبقوله ﷺ: **«إذا اجتهد الحاكم وأصاب فله أجران وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد»**(١) فعلي رضي الله عنه مجتهد مصيب فله أجران بل عشرة أجور كما في رواية. ومقاتلوه كعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ومن تبعهم من الصحابة الكثيرين من أهل بدر وغيرهم مجتهدون غير مصيبين فلهم أجر واحد، وهم بغاة على علي، لكن البغي ليس اسم ذم كما مر المرة بعد المرة، ومن ثم قال الشافعي رحمه الله: تلقيت أحكام البغاة من مقاتلة علي الخارجين عليه في حال الحرب وبعده معاوية وغيره، فسماهم بغاة وليس ذلك تنقيصاً لهم، لما علمت أن لهم تأويلاً أي تأويل، وأنهم بسببه معذورون وأي معذورين؛ لأن المجتهد ملجأ إلى العمل بما ظهر له من الدليل لا يمكنه التخلف عنه أصلاً كما مرمبسوطاً؛ ولأجل ذلك أثيب وإن أخطأ كما عليه إجماع من يعتد به.

فإن قلت: جاء في الأحاديث الكثيرة كما مر بيانها أن عماراً تقتله الفئة الباغية وقاتلوه من فئة معاوية، فلزم أنهم الفئة الباغية.

---

(١) سبق تخريجه.

قلنا: نحن لا ننكر ذلك كما قررناه وبيناه مع بيان أنهم متأولون، وأن البغاة المجتهدين الذين لهم تأويل غير قطعي البطلان لا حرج عليهم بل هم مأجورون يثابون، وإن كان تأويلهم فاسداً، ومر أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما استدل على أبيه ومعاوية رضي الله عنهما بهذا الحديث لما أمره أبوه بالمقاتلة معه. قال عمرو لمعاوية: ألا ترى ما يقول ابن أخيك، وذكر له الحديث، فبادر له معاوية إلى تأويله. فقال: وهل قتله إلا من خرج به؟ لأنه تسبب في قتله بإخراجه معه وأخرج لفظ الحديث عن حقيقته إلى مجازه. لما قام عنده من القرائن المقتضية لذلك، فهو تأويل يمكن على المجتهد أن يقول به لما قام عنده من القرائن الصارفة له عن حقيقته إلى مجازه، وإن كان الحق أن الحديث ظاهر بل صريح في أن قاتله إنما هو من باشر قتله، وأقرب من تأويل معاوية هذا تأويل عمرو بن العاص، فإنه جاء في رواية أن قاتل عمار في النار فالفئة الباغية محمولة على مباشر قتله والمعين عليه، والحكم على قاتله ومعينه بذلك لا يقتضي الحكم على جميع الفئة به، للفرق الواضح، فإنهم مجتهدون مؤولون وقاتله ومعينه ليسا مجتهدين فلا ينظر لتأويلهما.

وقد مر أن مدعي قتله تخاصما، وأن عبدالله بن عمرو روى لهما الحديث فأنكر كل أنه قتله، ولما توقف عبدالله هذا لكونه من فقهاء الصحابة وزهادهم وعبادهم في تأويل معاوية، وتأويل أبيه المذكورين جاهر معاوية بالحديث وأشار إليه إلى أن فئته هي الفئة الباغية. فقال له معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إني معكم ولست أقاتل، إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ: «**أطع أباك ما دام حياً ولا تعصه**»[1]. فأنا معكم ولست أقاتل، ومر الكلام على ذلك مستوفى، ومن تأمل دقة نظر معاوية وعمرو علم أنهما لم تصدر منهم تلك الأفعال والحروب إلا بعد مزيد التحري والبحث، لكن بالنسبة لما ظهر لهم فلذلك عذرهم فيما فعلوه من تلك الحروب أئمة المسلمين سلفاً وخلفاً؛ لأن علياً ومن معه عذروهم أيضاً، وحينئذ فلا مساغ لأحد من المسلمين في الاعتراض على أحد من الفئتين، بل الواجب على كل مسلم أن يعتقد أن علياً هو الإمام الحق وأن مقاتليه بغاة عليه، وأن كلا من الفئتين معذور مثاب مأجور، ومن تشكك في شيء من ذلك فهو ضال جاهل أو معاند، فلا يلتفت إليه ولا يعول عليه.

---

(١) سبق تخريجه.

ومما يفصح لك عذر معاوية أنه روى عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا رجل يموت كافراً أو يقتل مؤمناً متعمداً**»[١]. فلولا أن عند معاوية أن المراد قتله بغير حق وأنه إنما قتل من قتل بحق، لم يسمح بمقاتلة المؤمنين مع علمه بهذا الحديث الذي لايرويه ويخالفه إلا جاهل مغرور. وحاشا معاوية صاحب رسول الله ﷺ وصهره وكاتبه وأمين وحيه والمدعو له على لسانه ﷺ بكونه هادياً مهدياً وبأن الله يعلمه الكتاب والحساب ويقيه العذاب، والمتفق على كونه عالماً فقيهاً مجتهداً، أن يكون جاهلاً أو مغرورا.

السابع: جاء في غير حديث أن علياً كرم الله وجهه قال: لقد عهد إليّ رسول الله ﷺ في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين[٢]، فهذه الأوصاف الثلاثة في معاوية وأصحابه، وهذا قادح وأي قادح.

---

(١) أخرجه أحمد في مسند الشاميين (١٦٤٦٤) والنسائي (٣٩٨٤).

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٤١): «رواه البزار والطبراني في الأوسط وأحد اسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعيد ووثقه ابن حبان» والحديث له طرق عدة وألفاظ متقاربة وقد صححه الألباني في تعليقه على «السنة» لابن أبي عاصم (٢/ ٤٢٥).

وجوابه: أن الحديث ضعيف أو في حكمه[١]، وأنه بتقدير صحته مؤول.

ومما يناسب هذا أن علياً كرم الله وجهه قاتل عائشة وطلحة والزبير، وأصحابهم الكثيرين الذين أكثرهم صحابة. وقاتل الخوارج وقاتل معاوية وأصحابه. فحمل الحديث على معاوية فقط تحكم غير مرضي بل يصح حمله على جميع من قاتل علياً. وتؤول تلك الألفاظ.

(تنبيه) استدل أهل السنة بمقاتلة علي لمن خالفوه من أهل الجمل والخوارج وأهل صفين مع كثرتهم، وبإمساكه عن مقاتلة المبايعين لأبي بكر والمستخلفين له مع عدم إحضارهم لعلي وعدم مشاورتهم له في ذلك، مع أنه ابن عم رسول الله ﷺ وزوج بنته والمحبو منه بمزايا ومناقب لا توجد في غيره، مع كونه الشجاع القرم والعالم الذي يلقي كل منهم إلى علمه السَّلم. والفائق لهم في ذلك والمحتمل عنهم مشقة القتال في أوعر المسالك.

وبإمساكه أيضاً عن مقاتلة عمر المستخلف له أبو بكر ولم

---

(١) الصواب أنه صحيح، كما سبق.

يستخلف علياً، وعن مقاتلة أهل الشورى ثم ابن عوف المنحصر أمرها إليه باستخلافه عثمان، على أنه لم يكن عنده علم ولا ظن بأنه ﷺ عهد له صريحاً ولا إيماء بالخلافة. وإلا لم يجز له عند أحد من المسلمين السكوت على ذلك، لما يترتب عليه من المفاسد التي لا تتدارك؛ لأنه إذا كان الخليفة بالنص ثم مكن غيره من الخلافة، وكانت خلافة ذلك الغير باطلة وأحكامها كلها كذلك. فيكون إثم ذلك على علي كرم الله وجهه، وحاشاه من ذلك. ومن زعم أنه إنما سكت لكونه كان مغلوباً على أمره، يبطله أنه كان يمكنه أن يعلمهم باللسان ليبرأ من آثام تبعة ذلك، ولا يتوهم أحد أنه لو قال عهد إلي رسول الله ﷺ بالخلافة، فإن أعطيتوني حقي وإلا صبرت، أنه يحصل بسبب ذلك الكلام لوم من أحد من الصحابة بوجهه وإن كان أضعفهم. فإذا لم يقل ذلك كان سكوته عنه صريحاً في أنه لا عهدة عنده ولا وصايا إليه بشيء من أمور الخلافة. فبطل ادعاء كونه مغلوباً.

ومما يبطله أيضاً أنه لو كان عنده عهد في ذلك وقام في طلبه لم يثبت في مقابلته أحد منهم. بل كان وحده أو مع قومه بني هاشم منه مع كثرتهم ومزيد شجاعته قادراً على أخذ حقه، وقتل من منعه كائنا ما كان. لا سيما وقد قال له أبو سفيان بن حرب رئيس قريش: إن شئت لأملأنها عليهم خيلاً ورجلاً،

فأغلظ عليه في الرد.

ولما اعتقد بعض أكابر الرافضة أنه الموصى له بالخلافة وأنه عالم بذلك ولم يجد له عذراً في تركه لطلبها ولا في مقاتلته عليها ذهب ـ قاتله الله ـ إلى تكفير علي كرم الله وجهه زاعماً أنه ترك الحق مع قدرته عليه.

قال الأئمة: وبما تقرر أن علياً لم يحتج قط بأنه الوصي فعلم افتراء الشيعة وعظيم بهتانهم وكذبهم في زعمهم أنه الوصي بالنص المتواتر. ورووا في ذلك أحاديث كلها كذب وزور وبهتان اخترعوها من عند أنفسهم؛ لترويج اعتقادهم الفاسد. فلا يحل روايتها ولا الإصغاء إليها. بل جاء في روايات ماهو ظاهر في خلافة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان حتى على لسان علي كرم الله وجهه.

الثامن: جاء أن شداد بن أوس دخل على معاوية وعمرو معه على فراشه فجلس بينهما، قال: أتدرون ما أجلسني بينكما؟ إني سمعت النبي ﷺ يقول: «**إذا رأيتموهما جميعاً ففرقوا بينهما فما اجتمعا إلا على غدر**» فأحببت أن أفرق بينكما[1].

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٥١): «رواه الطبراني وفيه عبدالرحمن بن يعلى بن شداد ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات».

وهذا فيه غاية الذم لمعاوية .

فأما جوابه فمن وجوه :

أما الأول: فالحديث لم يثبت لأن في سنده من قال الحافظ الهيثمي فيه : لا أعرفه .

وأما ثانياً: فكل من معاوية وعمرو كان داهية من دهاة العرب . فبفرض صحة الحديث أحب النبي ﷺ أن لا يجتمعا ، فإن اجتماعهما ربما جر إلى أمر دنيوي فيه ضرر للغير ، كما أشار إليه الغدر .

وهذا لا يقتضي ذما لمعاوية فيما وقع منه من الاجتهاد في قتاله لعلي كرم الله وجهه ، ويدل لذلك أنه ﷺ صح عنه ثناء ومدح لكل من الرجلين ، فوجب تأويل هذا الحديث إن صح بنحو ما ذكرته ، ولم يصح والحمد لله[1] .

---

(١) ولم يصح ـ كما سبق ـ لأن فيه مجهولاً ؛ فلا حاجة حينئذٍ للاشتغال بتأويله .

فهرست المحتويات